مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث ـ العدد الثامن ـ أكتوبر 2015م

جدل الوجود والمعرفة عند هرقليطس

Heraclitus' The Dialectic of Existence and Knowledge

د. أيمن عبد الله شندي*

محتويات البحث.

مقدمة : – أهمية الموضوع.

– المنهج المستخدم فى البحث.

– تساؤلات الدراسة.

المبحث الأول : جدل الوجود.

- **أولاً : المادية الجدلية.**
- **ثانياً : المبدأ الأول وصفاته.**
- **ثالثاً : الصيرورة.**

أ– ضد الثبات.

ب– جدل الصراع بين الأضداد.

ج– فاعلية الظواهر.

د– الوحدة والتناغم الكونى.

هـ– اللوغوس "قانون الانسجام".

و– النظرية الدورية.

المبحث الثانى: نظرية المعرفة.

- **أولاً : الجدل المعرفى.**
- **ثانياً : نقد المعرفة الحسية.**
- **ثالثاً : العقل.**
- **رابعاً : الحدس والاتحاد بالحقيقة.**

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

* مدرس الفلسفة اليونانية – كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي.

مقدمة:

إن البحث عن حقيقة هذا الوجود Existence مثّل حلقة الفكر بين فلاسفة اليونان فى جميع أطوارها، وأدلى كل منهم بدلوه فيها حسب رؤيته الفلسفية سواء كانت مادية Materialism أم مثالية Idealism وانعكست بدورها على نظرية المعرفة Theory of Knowledge سواء كانت حسية Sensuality أم عقلية Rationality أم وجدانية Affective لكن فى خضم هذا البحث حاول كل منهم أن يدرك الوجود إما من خلال ما ينكشف له فى تصوره العقلى، والآخر درسه من خلال الوقائع الحسية Sensory facts التى تتجلى له فى معطيات حسية لأدوات إدراكه المعرفية. لكن دعى البعض الآخر إلى استخدام العقل Reason كأداة انتقاد معرفية للحواس Senses ونتيجة لهذا تعددت وجهات نظرهم فى تفسير نشأة الوجود، وكذلك سبل إدراكه.

بناء على ذلك فمنهم مَنْ رد الوجود إلى مبادئ مادية لكنهم اختلفوا حول مسمياتها، ومنهم مَنْ رده إلى مبادئ معقولة كما اختلفوا أيضاً حول مسمياتها وطرق معرفتها. لذا ارتأى بعضهم ثبات Immutability هذا الوجود وعدم تغير حقيقته، على أساس أن الإنسان دائماً ما يبحث عما هو ساكن كى يستريح من غياهب الحركة Movement، وعدم الخوض فى معركة التغير Change التى دائماً ما يخاف المرء السير نحو معتركها.

لكن فى مضمار هذا البحث السكونى الجامد الذى لا يعبر عن شيء سوى الثبات الدائم، جاء **هرقليطس** 540 –480 ق. م Heraclitus ليوقظ الفكر اليونانى من سباته الدجماطيقى قائلاً: بأن هذا الثبات إن هو إلا وهم Fiction وأن حقيقة الوجود تتمثل فى صيرورته وتغيره، ولا يوجد سوى هذا العالم المفرد الذى نعيش فيه. وما على المرء إلا أن يدرك أن هذا الصراع Strife بين الأشياء

وأضدادها هو الحقيقة التى تعبر عن استمرارية هذا الوجود ودوريته بين الكون والفساد.

تلك الرؤية كانت بمثابة اللغز الغامض المحير لمن اختار الثبات والسكون ولا يريد الحركة، بل برهن على عدم الحركة وأداه ذلك إلى نفى الوقائع المحسوسة أو الأعراض Accidents ولم يبق إلا على الجوهر Substance الواحد الثابت كما فعلت المدرسة الإيلية.

لم يقف هرقليطس عند حدود هذا القول فقط، بل تخطاه إلى تدعيم رؤيته الفلسفية بالأدلة والبراهين الحسية وكذلك العقلية، لكنه كان أكثر ما يلمح أو يرمز ناشداً ألا تكون الفلسفة الحقة إلا لمن يؤمن بقيمتها ويمتلك أداة معرفتها.

لذا تتمثل إشكالية هذا البحث حول أهمية ذلك فى بيان وتحليل رؤية هرقليطس الجدلية من خلال الوجود وانعكاس ذلك على نظرية المعرفة، على اعتبار أن قيمة الفكرة تأتى من سمو معقوليتها حتى وإن عارضها المعاصرون، إنها تتجلى عبر العصور وهذا ما تم بالنسبة لآراء هرقليطس سواء فى القديم أم فى الفكر الحديث والمعاصر مروراً بالوسيط، لما كان من أهمية الجدل عند هرقليطس.

كما تحاول هذه الدراسة تحليل فكرة الجدل أو الديالكتيك Dialectic الفلسفى لدى هرقليطس فى الوجود والمعرفة من حيث معقوليتها من عدمها، هل كانت آراء متناثرة أم كانت رؤية فلسفية لها حق الاحترام خاصة لأنها تعبر عن الواقع، ولم تلجأ إلى مقومات ميتافيزيقية حتى قادته إلى إقراره بأن هذا العالم لم يخلقه أحد من الآلهة أو البشر!!

إن رؤية هرقليطس الجدلية تستدعى البحث والدراسة من خلال ما قدمه فى شذراته الفلسفية فى ظل الدعوة السكونية التى سيطرت على الفكر اليونانى آنذاك.

ويحاول هذا البحث تقديم إجابات حول التساؤلات التالية:

- **ما المبدأ الذى اعتمد عليه هرقليطس فى تقديم رؤيته الجدلية فى الوجود، هل ترك الوجود بلا هوية بناء على قوله بالتغير والصيرورة، أم التمس له وحدة Unit تجمع صيرورته؟**
- **ما مدى انعكاس الجدل الوجودى على الجدل المعرفى عند هرقليطس، وما قيمة رؤيته المعرفية فى خضم تطورات نظرية المعرفة عبر العصور، وهل استندت رؤيته المعرفية إلى المعقولية Rationalism أم أنها جنحت إلى النزعة الروحية؟**
- **هل كان لهرقليطس القدر الكافى من الإدراك الأمثل لقيمته الفلسفية من مفكرى عصره واللاحقين عليه، أم أنهم أغفلوه وابتعدوا عن فلسفته ورفضوها، وما هى عناصر القبول والرفض لأفكاره الفلسفية على اعتبار أن الفكر الفلسفى لا يحكم عليه بالصدق أو الخطأ لكن يحكم عليه بالاقتناع Conviction وعدم الاقتناع بناء على الأدلة العقلية والبراهين Demonstrations السليمة!**

المنهج المستخدم فى البحث:

يستخدم الباحث فى هذه الدراسة المنهج التحليلى Analytical Method ليقوم من خلاله بتحليل رؤية هرقليطس الفلسفية من خلال نصوصه وآرائه الفكرية

لبيان رؤيته الجدلية فى الوجود والمعرفة، وما كان يصبو إليه من تقديم رؤية فلسفية تختلف عن سابقيه ومعاصريه.

ثم يعقب ذلك بخاتمة يتضمن فيها أهم نتائج البحث، مع قائمة بالمصادر والمراجع العربية وكذلك الأجنبية.

المبحث الأول
جدل الوجود

أولاً : المادية الجدلية Materialism dialectic :

لاشك أن الطبيعة هى أول ما يجذب انتباهنا، ويستأثر باهتمامنا، فهى كل ما يحيط بنا من أشياء وكائنات، وأول ما تقع عليه حواسنا وأول ما نلاحظه من ظواهر، لهذا توجه العقل الإنسانى أولاً وقبل النظر فى نفسه نظر نحو العالم الخارجى، أى نحو الطبيعة ودراستها، والتأمل فى ظواهرها ومظاهرها، محاولاً فهم بيئته. فالوعى Consciousness يولد محمولاً على الأشياء، هكذا الوعى الإنسانى ولد محمولاً على الطبيعة. [1] محاولاً الكشف عن كنه الوجود فتحقق لدى "**طاليس**" **624–546 ق. م Thales** فى الماء كعلة مادية صدرت عنها الأشياء، وأن الأرض قرص مسطح يطفو فوق الماء. بينما رأى "**أنكسمندريس**" **610–546 ق. م Aneiximander** أن ذلك يمثل صعوبة كبيرة فى كيفية نشأة جميع الظواهر فى الكون من مادة محدودة، لذا رأى أن هذه المادة لابد أن تكون لا محدودة ولا نهائية سماها "**الأبيرون**". أما "**أنكسمانس**" **588–525 ق. م Anaximenes** فقد ارتد إلى نفس رؤية "**طاليس**" فى المصدر الدائم لنشأة الأشياء عنه وجعله فى الهواء.[2] يتضح من هذا ما أثارته المدرسة الأيونية من سؤال مهم بقدر ما يكون صعب حول المادة التى نشأ منها الكون سواء: الماء أو

الهواء والتحولات Mutations التى تعترى هذه العناصر، كذلك علاقة الواحد بالكثير مع استمرار الكينونة كما هى أثناء هذه التحولات، مما أثار مشكلة الكثرة والوحدة فى الفكر الفلسفى.[3] مما دعى هرقليطس إلى القول بالنار كمبدأ مادى للأشياء لكونها تعبر عن الحركة فى الأشياء والعناصر.[4] على هذا يوضح "**فريدريك انجلز**" 1820–1895 م Fredrich Engls أنه ابتداء من طاليس إلى هرقليطس تبنى فلاسفة الإغريق النظرة المادية للوجود والتى قد تميزت بأنها مادية جدلية وأنها أكثر تقدماً من مادية القرن الثامن عشر التى كانت مادية آلية، إذ المادية الجدلية لدى الإغريق نظرت إلى العالم على أنه قد تطور عن الكاوس Khaos فى حين أن ماديين القرن الثامن عشر تمسكوا بوجهة نظر ميتافيزيقية متحجرة برد المركب إلى أجزائه البسيطة حتى العقل والنفس، وهذا ما اتضح قصوره بعد تطور علم الكيمياء وعلم الحياة؛ لذا دعى "**هيجل**" **1770 –1831م Hegal** إلى العودة إلى التفكير الجدلى الذى يمكن أن يكتشف مصادره لدى هرقليطس على أساس أنه أول مفكر أكد الحركة والتناقض Contradiction، بل أكد ارتباط الحركة بالتناقض. [5] لقد تطور الديالكتيك بالواقع على يد هيجل ذلك الفيلسوف المثالى الألمانى الذى عرف كيف يفهم التغير المحدث فى العلوم. فقد لاحظ أهمية استعادة فكر هرقليطس القديم وساعده فى ذلك تقدم العلوم وأن كل شئ فى الكون هو حركة وتغير، وأن لا شيء معزول، بل إن كل شيء مرتبط بكل شيء، وهكذا خلق الديالكتيك(*).[6] الذى يبدأ قانونه بملاحظة أن لا شيء

(*) هى لفظة مشتقة من اليونانية تعنى المحاورة، كما اعتبر الديالكتيك فن الإقناع والبرهان، ظهرت معالمه فى الفلسفة اليونانية القديمة عند هرقليطس، كما بدت عناصره فى فلسفة ديكارت واسبينوزا وليبنتز وكانط وهيجل.

- انظر: شاكر اليساوى: فى بعض المفاهيم والأفكار، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، 1996 م، ص 81، مادة. ديالكتيك.

يبقى حيث هو، ولا شيء يظل على ما هو عليه، فمن يقول ديالكتيك يقول حركة وتغير فمثلاً: عندما يكون بأيدينا تفاحة ففى حين دراستها من وجهة نظر الديالكتيك سيكون ذلك من وجهة نظر الحركة، ليس حركة التفاحة عندما تتدحرج وتنتقل، لكن فى حركة تطورها فتلاحظ أن: التفاحة الناضجة لم تكن دائماً على ما هى عليه، فلقد كانت تفاحة خضراء من قبل، وكانت برعماً قبل أن تكون زهرة وهكذا نصعد إلى شجرة التفاح من زمن الربيع. فالتفاحة لم تكن إذن دائماً تفاحة، لأن لها تاريخ، وكذلك لن تبقى كما هى، فإذا وقعت ستتعفن وتتحلل، وستحرر البذور التى ستعطى إذا سار كل شيء على ما يرام، نبتة ثم شجرة. إذن لم تكن

- فهو طريقة فى المناقشة والاستدلال اتضحت معالمه لدى سقراط فى الحوار من خلال السؤال والجواب، أما عند أفلاطون فهو منهج فى التحليل المنطقى يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع، وعند أرسطو ومناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات، وعند كانط منطق ظاهرى فى سفسطة المصادرة على المطلوب وخداع الحواس، أما عند هيجل فهو انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما ثم متابعة ذلك للوصول للمطلق.
- المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية : تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403 هـ، 1983 م، ص ص 59، 60، مادة. جدل.
- ويطلق الجدل فى هذه الأيام على:- 1- طريقة الفكر الذى يعرف ذاته، ويعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة. 2- طريقة الفكر الذى يوجه حركته إلى جهات متعارضة تؤثر فيه تأثيراً متقابلاً يقضى فى النهاية إلى تقدمه كجدل الحدس والقياس، والحب والواجب، والعبد والسيد. 3- موقف الفكر الذى يقرر أن الحكم على الأشياء لا يمكن أن يكون نهائياً، وأن هناك باباً مفتوحاً لإعادة النظر دائماً. 4- اتصاف الفكر بالحركة وميله إلى مجاوزة ذاته.
- د. جميل صليبا : المعجم الفلسفى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، 1982 م ، ص ص 393 ، 394، مادة. جدل.

التفاحة دائماً على ما هى عليه ولن تبقى أبداً كما هى. [7] هكذا كانت تصورات Concepts فلاسفة الديالكتيك الأول تصورات صائبة، ومع ذلك أهملت لأنها تشكو من كونها مصاغة قبلياً، بمعنى أن حالة العلوم فى تلك الحقبة لم تكن تسمح بإثبات ما قدموه، من جهة أخرى لم تكن قد تحققت بعد الظروف الاجتماعية الضرورية لازدهار الديالكتيك. [8] لأن المادية مذهب ارتبط دائماً بالعلوم وتطورها، وعندما ابتدأت العلوم تظهر مع الفيزيائيين فى عصور الإغريق القديمة فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، تكوّن فى ذلك الوقت تيار مادى جذب إليه أفضل المفكرين والفلاسفة فى ذلك العصر مثل : طاليس وأنكسمانس وهرقليطس، هؤلاء الفلاسفة الأول سيكونون كما قال "**انجلز**" ديالكتيكيين بالطبع، فلقد أدهشتهم واقعة أننا نصادف الحركة والتغير فى كل مكان، وأن الأشياء ليست منعزلة، لكنها مرتبطة بصورة وثيقة بعضها ببعض. [9] فيوضح هرقليطس "**أبو الديالكتيكية**" أنه لا شيء جامد، بل كل شيء يسيل ويتغير من لحظة إلى أخرى، فقد كان هرقليطس أول من حاول تفسير الحركة والتغير ورأى فى التناقض أسباب تطور الأشياء.[10]

إن الديالكتيك عند هرقليطس كان يحوى بلا ريب أفكاراً وتصورات زائدة على القدر المشترك بينه وبين غيره، لعل من أهمها: نظرية توالد Reproduction الأشياء أو جزئيات جديدة بدوافع كامنة فى ضمنها، تحل محل أصولها ضمن الكل واحد. لذا شاع عند تمثيله للصيرورة المستمرة التى يتصف بها الكون بتدفق النهر.[11] لكن مع ذلك يعتبر هرقليطس أول من أعطى تصوراً جدلياً للعالم، أى أنه وصف العالم بأنه متحرك وليس متحجراً.[12] بذلك يكون مبدأ هرقليطس الفلسفى على خط متناقض تماماً مع مبدأ المدرسة الإيلية، فالإيليون ذهبوا إلى أن الوجود وحده موجود، وأن الصيرورة ليست موجودة، فكل تغير وكل صيرورة مجرد وهم Fiction. أما هرقليطس فالأمر بالعكس تماماً فالصيرورة

وحدها موجودة؛ والوجود والثبات والذاتية ليست إلا أوهاماً. وكل ما تحت فلك القمر إنما هو فى حالة تغير دائم ويستحيل إلى أشكال وقوالب جديدة، فلا شىء يبقى ولا شيء يثبت ولا شيء يظل كما هو، ولم يكتف بإنكار الثبات المطلق Absolute بل أنكر أيضاً ثبات الأشياء النسبى؛ لأنه اعتبره مجرد وهم. [13] فالصيرورة هى ذاتية الوجود واللاوجود إذ ليس لها سوى شكلين هما : قيام الأشياء وانقضاؤها، بدايتها ونهايتها، انبعاثها وانحلالها. [14]

أعتقد من هذا أن هرقليطس وضع فكره من خلال الإدراك الأمثل لحقيقة الوجود التى تعبر عن التغير البادى فى الأشياء مما دفعه للبحث عن كنه حقيقته والبحث عن المبدأ المعبر عن حقيقة هذه الصيرورة : كيف ذلك ؟؟

ثانياً: المبدأ الأول وصفاته :

إن الكون عند هرقليطس لا يسير سيراً همجياً ولا على غير هدى، إنما هو سائر سيراً منظماً متقناً طبقاً لقانون متين وضعته حكمة مدبرة وراعت فى وضعه أدق ضروب العدالة وجعلت عقاب كل من يتمرد عليه العدم والفساد.[15] فلقد رأى أن مبدأ الأشياء يتمثل فى النار.[16] حيث تعبر عن التغير البادى فى الأشياء، بذلك يختلف هرقليطس عن فلاسفة المدرسة الأيونية الذين ردوا أصل الأشياء إلى الماء أو الهواء، بينما يرى هرقليطس أن حقيقة الصراع تتمثل فى النار.[17] لكنه أضاف إلى هذا المبدأ فكرتى الصراع الدائم والتطور المستمر.[18] فوضح أن النار هى العنصر الأول والمبدأ الذى خرج منه كل شىء. فالعالم كما يوضح بكل ما فيه لم يأت من أحد الآلهة أو البشر، لكنه كان ولا يزال ناراً حية إلى الأبد.[19] كما تتحول إلى باقى أسطقسات Elements الوجود: الماء والأرض وكذلك العكس، كما يتم الاحتراق.[20] فكل الأشياء فى تغير مستمر من وإلى النار كتبادل السلع بالذهب والذهب بالسلع.[21] فمع أن الطبيعة تحب أن تختفى إلا أن

كل ما فيها يأتى من هذا الاحتراق.[22] فالنار تختفى وراء كل شيء سواء البحر أو الأرض، حيث تمتلك القدرة على التحول إلى أي من عناصر الكون.[23] تتم عملية تحول هذه الأشياء من وإلى النار خلال عملية عكسية بالتبادل. من هنا فكل شيء يحتوى على متناقضات وكل شيء يتغير وفقاً للقوانين الثابتة فى كل الأشياء وعودتها لذاتها مرة أخرى.[24] فالنار إذن هى المادة الأولية، وهى تتحكم فى كل التحولات التى ينتقل بها كل مقوم إلى الآخر من مقومات الكون.[25] فهى الأصل لكل الأشياء.[26] على هذا رأى أن الكون كله كالماء الجارى، فنحن لا نستطيع النزول للنهر مرتين، لأن المياه تتجدد باستمرار، وهذه حقيقة كافية جعلت هرقليطس يتكلم بهذا المبدأ.[27] الذى يعبر عن التغيرات التى ترتد إليه.[28]

لكننا نتساءل عن كيفية هذه النشأة ؟؟

اعتقد هرقليطس أن كل الأشياء نشأت من النار وذلك عن طريق التكاثف والتخلخل، فمن الأولى: الرطوبة ومنها إلى الأرض ثم الاتجاه المعاكس من خلال التخلخل. لكنه يرى أن التكاثف والتخلخل ليس هما أساس هذه التحولات لكن التغير هو الدافع لذلك، حيث إن تجاوز الذرات النارية هو الذى يجعل الرطوبة تنشأ من النار، وكذلك الجسيمات الترابية الصلبة تخرج من الرطوبة، فالكل من وإلى النار.[29] فتتحول الأشياء من ماء إلى أرض ثم ترتد مرة أخرى إلى النار.[30] وقد وضح "**أرسطو**" **384–322 ق.م Aristotle** أن هرقليطس حينما قال بالنار كمبدأ للأشياء كان ذلك على نفس منوال المدرسة الأيونية، لكن يجب أن نعلم أنه اختلف عن الفكر الأيونى فى حديثه عن الصيرورة.[31] وبادعائه بأن كل شيء فى حالة تغير مستمر، وأنه لا يوجد فرق بين "**فوق**" و "**تحت**".[32] إذ يرى أنه لولا التغير لم يكن شيء، لأن الاستقرار موت وعدم، والتغير والصراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض، فلولا المرض لما اشتهينا الصحة، ولولا العمل لما نعمنا بالراحة، ولولا الخطر لما كانت الشجاعة، ولولا الشر لما كان الخير.[33]

فالنار إذن هى الأقدر على التغير والحركة وقد نشأ الكل منها.[34] فمبدأ الأشياء ومنتهاها يرتد إليها؛ لأن فيها مبدأ الإيجاد والحياة والتغيير.[35] فالأشياء كلها تخرج منها طبقاً للضرورة والقانون.[36] لكن ما هى أهم الصفات التى أسبغها هرقليطس على هذا المبدأ؟؟

رأى هرقليطس أن النار هى العنصر الأزلى Eternity الأصلى فسبق بذلك الرواقيين حتى أنه ذكر قبلهم فكرة "**الاحتراق**" الكونى الهائل الذى يلتهم كل شيء فى الوجود ليعاد إيجاده من جديد بين الحين والحين.[37] كما يرى البعض أن النار عند هرقليطس هى كناية عن الوحدة Unity فى خضم التغيير.[38] بينما رآها آخرون أنها القانون العقلى Logos الذى يتحكم به. حيث أن سنة الكون عقلية وحتمية لا يفلت من عقالها شيء، وهى تحكم الكون بحسب ناموس عادل، أما طبيعة الكون ذاته فنارية.[39] كما أكد هرقليطس على أن النار هى الأصل Origin وإن كان قد ميز بين مستويين لها : فلم تكن لديه فقط **النار المادية** بل تحدث عن ما أسماه **بالنار الحية العاقلة** التى اعتبرها اللوغوس لهذا العالم، أى القانون الخفى الذى يمثل جوهر هذا العالم فى تكونه وفنائه.[40] فالنار ليست هى النار التى ندركها بالحواس، بل نار إلهية لطيفة جداً أثيرية، نسمة حارة، حية عاقلة، أزلية أبدية تملأ العالم، يعتريها وهن فتصير ناراً محسوسة، ويتكاثف بعض النار فيصير بحراً ويتكاثف بعض البحر فيصير أرضاً، وترتفع عن الأرض والبحر أبخرة رطبة تتراكم سحباً فتلتهب وتنقدح منها البروق وتعود ناراً أو تنطفئ هذه السحب فتكون العاصفة وتعود النار إلى البحر.[41] فالنار إذن ليست مجرد شيء محسوس وملموس وذلك لأن هرقليطس قد أضفى عليها خصائص عقلية مجردة، لأنها مسئولة عن تدبير العالم كما أن النفس الإنسانية Psyche جزء من النار الإلهية. وعندما تترك النفس الجسم فإنها لا تفنى لكنها تعود من حيث أتت إلى عالم النار، وكلما كانت أكثر جفافاً كانت أفضل النفوس وأحكمها.[42] فالنار

إذن هى النار المعنوية التى تشتعل فى العقول والنفوس وتكون مصدراً لكل طاقات الإنسان وإبداعاته، وهى قبس أو نفحة من اللوغوس أو العقل الإلهى، وهى الشعلة التى يحملها الإنسان معه دائماً، ويظل قابضاً عليها لا تسقط من يده إلا عند الموت.[43] والنفس الإنسانية هى شعلة من النار منبعثة من الأزلية الإلهية.[44] فهى الينبوع الأوحد Foundain Sole للحياة تخرج من القلب حيث مقرها وتتفرق فى العضلات والأعضاء وتبث فيها الحركة والنشاط، لذا وجب علينا أن نعلم قانونها وأن نعمل به ولا نتشبث بالجسم ومطالبه.[45] على هذا رد هرقليطس كل ما فى الوجود إلى نار نقية خالصة مشتعلة إلى الأبد نشأ منها كل شىء حيث أن الأشياء لم تنشأ من غيرها.[46] فهى الجوهر الأوحد الذى تصدر عنه الأشياء جميعاً وإليه يعود.[47] إنها الحاكم الأسمى The Ultimate Ruling الذى يخضع لحكمه كل شيء، هى الإله الأكبر الخالد وحده، بينما يفنى غيره من الآلهة، الواحد تلو الآخر.[48] يقول هرقليطس عنها: "إن النار توجه العالم" إذن هى العقل الكلى نفسه وهى التى تهدى المغترب لكى يخرج من عالم النيام إلى عالم الأيقاظ، فالنار كلها جدل وهى على حد قول "**هيجل**": هى الزمن الفيزيائى، هى القلق المطلق، التحلل المطلق للوجود، الانتقال من جانب (الآخر) لكنه الانتقال أيضاً لذاته. فالنار هى رمز التكامل.[49] فهى أقرب إلى الطاقة الداخلية الملازمة لحياة العالم وتجدده. فهى رمز للحياة ولحيوية العالم والتفاعلات التى توجد فيه، كما أن لها عقلاً يجعلها تنظم عملية الاشتعال والخبو، أو الوجود والفناء Annihilation فى هذا العالم.[50] فالنار هى المسئولة عن التوتر فى هذا الكون.[51] وقد اختارها هرقليطس لكونها أكثر الرموز دلالة على التعبير عن فكرة التغير ذلك لأمرين:

- **الأول:** لا تشير إلى أساس واحد فقط من العلاقة الرمزية Symbolism مع الفكرة الرئيسة، لكنها تنتظم فى **ثلاثة أسس:** ضوؤها وتوهجها،

حرارتها، وقدرتها الناتجة عن ذلك فى إحداث التغيرات كتلك التى تحدث عند الطهو، وسرعتها الفريدة وقوة ازديادها الذاتى السريع، فالحماس والعجلة فى الإيجاد وسرعة العقل والروح وتيقظها، كل هذه الأشياء هى التى أعطت النار أهميتها الرمزية الدائمة.

- **الثانى** : لا ينظر هرقليطس إلى النار على أنها تلعب دوراً رمزياً فقط، لكنها تلعب أيضاً دوراً حرفياً ذا أهمية فى نظريته عن الكون.[52] وترى **د. أميرة مطر** أنه إذا استبعدنا التمييز الكامل بين المحسوس والمعقول فى تفسيرنا لفلسفة هرقليطس فسوف نجد أن المعنى العينى المحسوس لا يتنافى والتصور العقلى الميتافيزيقى ! فالنار المحسوسة التى هى مبدأ العالم المادى للوجود هى من جهة أخرى مبدأ روحانى عقلى ميتافيزيقى، لأنها رمز للتغير المستمر فى الوجود، وهى القانون والمقياس الثابت له، أو هى اللوغوس الإلهى كما يصفها فى شذرات أخرى وهى مصدر الضوء والحرارة والحياة فى كل شىء.[53]

ثالثاً : الصيرورة:

أ- ضد الثبات:

إن الواقع فى نظر هرقليطس أنه ليس فى الوجود شىء ثابت قط، لأن الوجود دائم السيلان Flow وهو فى صيرورة مستمرة. فالشيء الواحد لا يبقى على حاله، والأشياء كلها تتحول بلا انقطاع. فالوجود موت يتلاشى، والموت وجود يتلاشى، والكون والفساد أمور تتلازم وتنسجم فى النظام العام، بحيث يمتنع تعيين خصائص ثابتة مطلقة للأشياء ويمتنع العلم بينما كان الخطأ الأكبر الذى وقع فيه الفلاسفة الإيليون والفيثاغوريون أنهم طلبوا الوجود الثابت.[54] هكذا يأتى الفكر الفلسفى لدى هرقليطس على النقيض من المدرسة الإيلية التى ترى أن كل

مـا يتجلـى مـن تغيـر أو صـيرورة فمـا هـو سـوى خـداع Illusion، بينمـا يـرى هرقليطس عكس ذلك تماماً حيث يؤكد أن الصيرورة هى حقيقة الوجود، فكل شيء فى الوجود يتعرض للتغير باستمرار.[55] على هذا اعتبر هرقليطس التغير ضرورياً للتوحيد المستمر بين الأضداد.[56] وقد حاول "**نينشه**" **1844 – 1900 م Nietzeche** البحث عن أصل هذه الفكرة – الصيرورة – لدى هرقليطس فلاحظ أنه استقاها من:-

- **أولاً:** ملاعب الرياضة البدنية حيث يسود فيها الصراع والمنافسة والمبارزة وكل أنواع النشاط والحيوية والحركة.
- **ثانياً:** نظام دولة المدينة والديمقراطية الأثينية التى ساهمت الظروف الجغرافية فى وجودها وكان لها دور كبير فى إبراز فكرة الصراع بين المجالات الحزبية والمناظرات السياسية.
- **ثالثاً: الحروب:** حيث أن مشاهدة هرقليطس للحروب المستمرة والنزاعات العدائية بين الدول أوحت له بأن النزاع والصراع هو جوهر الوجود.[57]

لكن حينما يقول هرقليطس أن كل شيء يخضع لدرجة ما من التغير فى كل لحظة فإنه ينبغى أن يفهم فى سياقه هو لا فى سياقنا نحن. **كيف؟** فالشخص المتعلم مستعد أن يسلم بأن المنضدة التى يريح عليها يده الآن والتى تبدو صلبة جامدة، هى فى الحقيقة مجموعة من الجزئيات التى تتحرك بسرعة. وأن لونها المرئى هو فى حقيقته تأثير ذهنى ذاتى تجلبه اهتزازات ذبذبة معينة واقعة على الأعصاب البصرية. ولم يكن هرقليطس يعرف ذلك كله، لذا فإنه لم يستطع أن يشير إليه بالتأكيد، فالذى يشير إليه فى قوله : بأن كل شيء يتغير باستمرار هو ظاهرة أكثر التصاقاً بالتجربة الواقعية من المبدأ العلمى للجزئ المتحرك بالنسبة لمعظمنا.[58] فالأشياء لدى هرقليطس فى تغير دائم، وفى تناقض قائم، معنى هذا

أن الحقيقة فى نظره كثرة متغيرة، تتكون من كائنات متناقضة.[59] إن فلسفة التغير كما يمثلها هرقليطس تخطو إلى الأمام، ذلك أن فلسفته تعلن أن الاستمرار إن هو إلا مصطلح نسبى، وأن ما نسميه استمرار إنما هو مثل عن التغير فى أسلوب بطئ أو مظهر خفى. إن كل التركيبات لو أنك لاحظتها فى صبر Patience كاف وجعلت خيالك أكثر بعداً تتحلل ببطء وأن كل شيء كما رآه الإغريق يخضع لعملية الكون والفساد.[60] على هذا وضح هرقليطس أن:-

1- كل شيء فى حالة تدفق مستمر لكن:

2- التغير يحدث وفقاً لقانون ثابت.

3- هذا القانون يشمل تفاعلاً بين الأضداد.

4- يخلق هذا التفاعل انسجاماً بين الأضداد.[61]

من هنا أنشأ هرقليطس تصوراً مرعباً ومذهلاً لعالمنا هذا بما هو عالم التدافع والصيرورة وموطن الهشاشة والسيلان. وما كان لهذا العالم أن يخيف الإنسان الحكيم وإنما بالضد، أن ينظر إليه وكأنه لعبة متناقضات وأضداد من شأنها أن تخرق على الدوام منطق عدم التضاد. فالعسل فى رؤية هرقليطس حلو ومر فى ذات الوقت، كذلك الحياة كأس يحتوى على مزيد يلزم تحريكه على الدوام. لقد حول هرقليطس بحسه التراجيدى الرعب Horror إلى فن Art والرهبة Dread إلى رغبة Desire والصيرورة Becoming إلى إرادة Will. فقد جعل هذا العالم موطن التناقض ومكمن النزاع بإنشاء ملحمة Epic كونية فنية.[62]

لقد وجد هرقليطس أن العلاقات المخفية فى الوجود أقوى من كل العلاقات الظاهرة فيه وعبر عن ذلك بقوله : **الطبيعة تحب أن تختفى.** لكن كيف يتم ذلك الفعل؟ كان الجواب لهرقليطس فى ذلك هو القول بقانون "**وحدة النقائض**" فوضح أن: الأشياء الباردة تستحيل حارة، والأشياء الحارة تستحيل باردة.[63]

فالتحولات مستمرة بين الأشياء، لذا لم يبق شيء على حال ثابتة.[64] فالشيء فى الآن نفسه يكون موجودا وغير موجود، وليس الأمر أن الشيء يوجد أولاً ثم لا يوجد فى لحظة تالية، لكن إنه موجود وغير موجود فى الوقت نفسه، فتعاصر الوجود واللاوجود هو معنى الصيرورة.[65] فالتغير إذن هو أصل هذا الوجود، وهو فى هذا يتبع رؤية فلاسفة المدرسة الأيونية.[66] لكن إن كان "**أنكسمندريس**" قد توصل إلى أن موت وفناء الموجودات والكائنات هو عقاب على كينونتها، وأن الكون فى ماهيته إجرامى، فإن هرقليطس اهتم بتبرير الصيرورة[*] فقط دون الحكم عليها، أو إصدار قضية معيارية وأخلاقية، وإذا كان "**أنكسمندريس**" قد قال بوجود عالمين مختلفين؛ هما العالم الفيزيائى المتكون من صفات محدودة أى "**بيرون**" أو عالم للكون والفساد، والعالم الميتافيزيقى أو اللامحدود أى "**الأبيرون**" لأنه لا يمتلك صفات تجعله معيناً. فإن هرقليطس قد خالفه بصورة كاملة، لأنه أقر بوجود عالم واحد فقط هو عالم الصيرورة. [67] فالحركة مستمرة فى الكون ولا يوجد ثبات وذلك فى صورة جدلية من خلال صراع بينه انسجام. [68] فكل شيء فى صيرورة، والأجيال تخضع لها فتظهر وتختفى، وتتجمع وتفترق سيلان Diffluent دائم يتم فيه تبادل الأضداد. [69] من خلال سلسلة من التغيرات، حيث لم يثبت شيء على كينونة محددة. [70] فكل ما فى العالم يتعرض لهذا التغير الذى يجعل كل شيء

---

[*] هى انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى أو من زمان إلى آخر وهى مرادفة للحركة والتغير من جهة كونها إنتقالاً من حالة إلى أخرى، كالانتقال من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل. والصيرورة نقيض الثبوت والسكون، كما أنها حالة متوسطة بين العدم والوجود التام. وهى عند **هرقليطس** صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض، أما عند **هيجل** فهى سر فى صميم الوجود، أى سر التطور وهى التى تحل التناقض بين الوجود واللاوجود، باعتبارها وجود ولا وجود، أى ما هو بصدد الوجود والكون.

– انظر: جلال الدين سعد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994 م، ص 269 مادة. الصيرورة.

غير ثابت على وضع ما.[71] يقول فى ذلك :"كل شىء يسيل ولا شىء يبقى، وكل شيء يترك مكانه ولا شيء يبقى ثابتاً".[72] فكل شيء فى العالم فى حالة من التغير المستمر، لأن كل شيء يتحرك ويبقى العالم مثل التيار المتدفق.[73] دائم التغير والجريان، فالتغير هو السمة الأكثر أساسية للطبيعة. [74] فالتحول والصيرورة لا تنتهى، إذ أنها تسرى فى العالم، لأن كل شيء فى العالم فى صراع بين الأزواج المتناقضة والمتمايزة وعبر عن ذلك بقوله : **الحرب هى رب وملك كل شىء**. [75] فالتغير والصيرورة هما الحقيقة. [76] فيتم ذلك من خلال تنوعات مختلفة مثل: الليل والنهار، والشتاء والصيف، والحرب والسلم، فالصيرورة هى الأشياء كلها.[77] حيث لا شىء دائم ولا ثابت يمكن أن نثق به، هذا يعنى أن كل معتقداتنا عن العالم التجريبى هى دائماً مؤقتة لا يوثق بها، فجميع معتقداتنا نسبية. [78] وإذا ما أردنا توضيح المقصود بذلك فعلينا أن ننظر إلى ظاهرة إلقاء حجر ما ثم نراقب التغيرات المتعددة له خلال فترات زمانية، سيتضح تغيرات يصعب حصرها، لذا فإن سرعة التغيرات للحجر بلا حدود ولا نهائية نظراً لخضوعها للتغير.[79] هذا يعنى أن هناك عالم مفرد[*]، هو العالم الذى نعيش فيه والذى يتميز بأنه دائم التحول والسيلان، وبالتالى فليس هناك شيء يمكن أن يبقى كما هو موجود، وبصورة نهائية دون أن يطرأ عليه تغير وحركة. [80] فالطبيعة إذن تعتمد على الأضداد والعلاقة بينها على قدم المساواة Equality. [81] كيف ذلك؟؟

ب- جدل الصراع بين الأضداد :

[*] سيظل هرقليطس أبداً على صواب – كما يرى نيتشه – عندما جزم بأن الكينونة وهم بلا معنى، فالعالم الظاهر وحده هو الموجود، وما العالم الحقيقى سوى كذب نضيفه عليه.
– انظر:– فريدريك نيتشه: أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية، محمد الناجى، أفريقيا الشرق، ط 1، ردمك، 1996 م، ص 27.

عرضت مشكلة الأضداد للمدرسة الأيونية وللفيثاغوريين، وكان لكل منهم رأى فيها، "**فأنكسمندريس**" قال بمادة لا نهائية تنشأ عنها الأضداد المختلفة: **النار والهواء والماء والتراب**، وكيفياتها : **الحار والبارد والرطب واليابس**. ففصل بين ذلك "**المبدأ**" أى المادة الأولى وبين الأضداد الموجودة فى الواقع، ولم يبين كيف تخرج منها ؟ وذهب "**فيثاغورس**" **580، 570 ق.م Pythagoras** إلى نظرية التناسب Proportionality أو الائتلاف العددى سواء فى الأشكال أو فى الموسيقى Music وهو تناسب رياضى بوجه خاص. أما "**بارمنيدس**" Parmendies فيضرب صفحاً عن هذه الأضداد المحسوسة، وينكرها، ويبرهن تلميذة "**زينون**" 464–460 ق. م Zeno على إبطال الكثرة والحركة. [82] بينما رأى "**هرقليطس**" أن الصراع بين الأضداد هو الحقيقة الكبرى فى الكون والوجود الواقعى.[83] فالصراع بين الأضداد فى كل شىء حيث أن كل الأشياء تذوب إلى أضدادها. [84] لأن كل شيء فى الوجود يشتمل على متعارضين لا يزالان متصادمان أبداً سرمداً، ومن تصادمهما تقع جميع أحداث العالم من حياة وموت، وكون وفساد، فجميع الكائنات مدينة ببقائها لنوع من هذا التصادم المنظم المنسجم، لهذا يسخر هرقليطس من "**هوميروس**" **Homer** الذى كان يتمنى انقضاء الشقاق بين الآلهة والبشر، فانقضاء الشقاق فى نظر "**هرقليطس**" معناه فناء العالم نهائياً، ما دام هذا العالم مديناً فى بقائه ووجوده للتصادم الناشئ عن هذا الشقاق والنزاع. [85] على هذا يرى هرقليطس أن الصراع بين الأضداد هو القانون الأول فى دراما الوجود، إذ لابد من مبدأين متعارضين من كل شيء فى الوجود. تجمعهما وحدة واحدة بالضرورة، فالخير والشر شيء واحد فى الواقع وضرورياً معاً للوجود، ولا ينفصلان. ولا يصبح شيء خيراً إلا بمقدار ما يكون من قبل شريراً. حيث يتوقف على وجود الصراع وجود الأشياء نفسها.[86] وضح ذلك بقوله : **الحرب هى أساس كل شيء، تجعل البعض آلهة والآخر عبيداً**.[87]

فالصراع بين الأضداد هو المنتج والمولد لكل شيء.[88] فهنالك نضال أبدى بين النار والماء، فالنار مبدأ الحياة، والماء مبدأ الموت، فالنزاع موحد كل شيء.[89] فالتقابل بين الأشياء من نوم ويقظة، وموت وحياة كل هذه الأضداد دليل على دورية البقاء على قيد الحياة فكما نرى صيف ثم شتاء، كذلك نعلم أيضاً أن الحياة تتبع الموت. [90] عبر عن ذلك بقوله: **الإله: ليل ونهار، صيف وشتاء، حرب وسلم، جوع وشبع.**[91] كل هذه المتضادات واحدة على حد سواء، فمن الحياة يأتى الموت، ومن الموت تأتى الحياة، كذلك من الشباب إلى الشيخوخة، ومن الشيخوخة إلى الشباب، لذا فإن تيار النشأة والتدمير لا يثبت على شيء بعينه. [92] لذا يقول: **إن الصراع هو الذى يسمح للعالم بأن يوجد وأن يستمر، والصراع بالطبع يكون بين الأضداد، فالعالم مكون من الأضداد.**[93] هذا هو قانون الطبيعة الخفى الذى أعلنه هرقليطس، لذا رفض المثل الأعلى الفيثاغورى القائل بعالم مسالم ومتناغم واعتبره المثل الأعلى للموت، لأن الصراع هو العدالة Justice بعينها، حيث لا ينبغى لأحد أن يرغب فى وجود عالم راكد، فحينما تكون هناك حياة فإنها تحيا على تدمير شيء آخر.[94] لكن يحذرنا هرقليطس من اعتبار النقيضين على طرفى مساواة تامة وإلا انتهى الصراع. وهذه نقطة محورية فى تفكيره وفى جدله. لكن النقيض فى نفس الوقت لا تكون له الغلبة التامة وإلا انفرد العالم وانتهى الصراع فيقول: "إن الشيء يزداد فى اتجاه ما والشيء الآخر يزداد فى اتجاه آخر وذلك بالنسبة لما ينقصه". وربما استمد هرقليطس ذلك من "**أنكسمندريس**" حينما وضح أن "**الأبيرون**" يحتوى كل العناصر لكنه لا يسمح بطغيان عنصر على بقية العناصر وإلا اختفت طبيعته اللامتناهية واللامحدودة كيفاً وكماً.[95]

أعتقد من هذا مدى يقظة هرقليطس فى نظرته للوجود وكأنه يرسم بيده وعقله صفحة عن تاريخ ماض ولحظات حاضرة يعايشها وأخرى مستقبلية توضح

حقيقة الوجود فى الصراع الذى يتجلى من خلاله أشكال الوجود العام والوجود الخاص "**البشرى**" مؤكداً على أن الخير بجانب الشر وكذلك البناء بجانب الهدم وهذه هى حركة الطبيعة وكذلك حركة الفكر البشرى، لكن يجب أن يوقن الكل بأن النظام والانسجام Harmony باطن فى ظل هذا الصراع لأنه قائم على مبدأ العدل Just وعدم تعدى أحد على الآخر.

ج- فاعلية الظواهر:

إن الفلسفة طريق صاعد إلى الحكمةWisdom ، وشوق دائم إليها، وكلما ازددنا تفلسفاً، ازددنا توغلاً فى هذا الطريق الموحش الوحيد. هذا الطريق الصاعد هو الذى نسميه بالديالكتيك. وكلما ازداد نصيبنا من التفلسف ازداد حظنا أيضاً من هذا الديالكتيك، عندئذ نجد كل شيء فى الوجود فى صراع وتغير دائمين، فكل شىء فى تدفق. [96] هذا التدفق للظواهر هو الذى يعنى فاعليتها التى تعبر عن الصراع بين الأضداد فى الحياة الطبيعية التى تشبه الخليط الذى يجب أن يستمر. [97] فكل شيء كما يرى هرقليطس فى فيض مستمر، فكل الأشياء، وكل الخصائص تتحول إلى أضدادها. [98] لذا تتمثل حقيقة الوجود لدى هرقليطس على توتر الأضداد، ويتضح هذا التوتر Tension فى تشبيهه بالمثقاب الذى يتجه فى خيط لولبى ومستقيم فى آن واحد كما تكون البداية والنهاية متصلتين فى دائرة واحدة. [99] فقد رأى أن كافة الأشياء توجد فيها قوة تحركها إلى أسفل نحو اليابسة، وأن وجود المادة فى أية حالة من حالاتها إنما هو نتيجة للتوازن Balance بين القوى المتضادة نتيجة للتوتر. [100] فالصفات المحددة التى تبدو لنا دائمة لا تعبر إلا عن التفوق المؤقت لأحد المصارعين، لكن ذلك لا يوقف الصراع، فالصراع يستمر إلى الأبد. [101] فإذا نظرنا إلى مذهب هرقليطس فى تغير الأشياء من حيث صدور الموجودات فإن أرجح الروايات فى هذا الصدد هى تلك التى تجعل هرقليطس قائلاً بثلاثة عناصر: **النار والماء والتراب**. فالنار تتحول إلى ماء،

والماء يتحول إلى تراب، والتراب بدوره يتحول من جديد إلى ماء والماء إلى نار. ومن السهل أن نفهم هذا فى مذهبه: لأن النار إذا أصيبت بالرطوبة تحولت إلى ماء، وإذا أصيبت باليبوسة تحولت إلى تراب، كما أن النار عنده ذرات ترابية حارة كتلك التى نجدها فى أشعة الشمس. هذا الطريق الذى يتم الانتقال فيه من النار عن طريق الماء إلى تراب يسميه الأعلى، أما الآخر الذى يتم فيه الانتقال من التراب عن طريق الماء إلى النار من جديد فيطلق عليه الأسفل. فالطريق من أعلى إلى أسفل هو الممتد من النار ماراً بالماء حتى التراب، والطريق من أسفل إلى أعلى هو المبتدأ بالتراب ماراً بالماء منتهياً عند النار. [102] من الممكن تشبيهه بالشكل (1، 2) التالى:

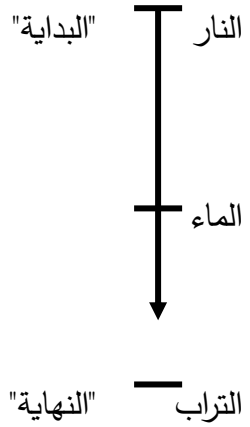

الشكل (1)

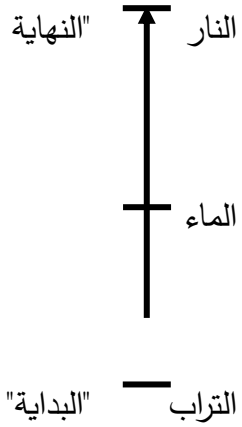

الشكل (2)

يعتقد الباحث من ذلك أن الطريق من أعلى إلى أسفل والعكس كله واحد. فالنار تمثل عند هرقليطس حقيقة هذا العالم ومصدره، وبالتالى سيكون هناك صراع دائم بين الأشياء، وينطبق ذلك على العالم بأسره وكذلك الإنسان، فالطريق إلى أعلى وأيضاً إلى أسفل.[103] فيتم تحول النار أو المادة الأولية إذن من خلال

ثلاثة أشكال أساسية: من النار إلى الماء، ومن الماء إلى التراب، أما الاتجاه المعاكس من التراب إلى الماء ومن الماء إلى النار من خلال مسارين من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى.[104] فالطريق صعوداً وهبوطاً هو شيء واحد.[105] لكن يلاحظ فى هذين الطريقين أن هرقليطس لم يشر صراحة إلى الهواء كمرحلة من مراحل التحول، لكنه مع ذلك يشير إليه فى بعض نصوصه حينما يوضح أن النار تحيا بموت الهواء، كما أن الهواء يحيا بموت التراب، ويحيا الماء بموت الأرض، كما تحيا الأرض بموت الماء. **فهرقليطس** لم يغفل الهواء تماماً لكنه ذكره خصوصاً حين حديثه عن النفس الإنسانية.[106]

لكن إن كان هرقليطس كما نعتقد قد عبر عن الحقيقة الواضحة فى الوجود من خلال هذا الصراع فى فاعلية الظواهر، فهل ترك الوجود هكذا أم حاول أن يبحث فيه عن الانسجام؟؟

د- الوحدة والتناغم الكونى:

كان هرقليطس مع روح العلم الأيونى حين وقف عند الحركة الدائمة والتغير المتصل، لأن العلم ينبغى أن يبدأ بالمشاهدات والتجارب، أى بالاعتماد على الحس الذى يدل على هذا التغير، أى عدم إنكار التغير الحسى. لكن التسليم بمبدأ التغير(*) يجعلنا نعجز عن إدراك وجود الأشياء لأنها ما تكاد تقف عندها

(*) ينقد أفلاطون هذا المبدأ بقوله: ما دام لا يوجد هنا ما هو ثابت، وأن ما هو فى حركة لا يتحرك، بل يتغير أيضاً، حتى إن البياض نفسه يكون فى حركة ويتغير إلى لون آخر فكيف إذن نطلق عليه اسم لون محدد ونكون واثقين أننا نسميه تسمية صحيحة.

- انظر: أفلاطون: ثياتيتوس أو عن العلم، ترجمة وتقديم د. أميرة حلمى مطر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 84.
- كما يقول أيضاً فى محاورة كراتيلوس : "لا نستطيع أن نقول كلاماً معقولاً يا كراتيلوس بأنه توجد معرفة على الإطلاق إذا كان كل شيء فى حالة انتقال وكان لا يوجد شيء

حتى نراها قد انتقلت إلى غيرها. ولو أن هرقليطس وقف عند هذه المرحلة دون أن يلتمس لها حلاً ما أمكنت المعرفة Cognition، إذ كيف يتم معرفة شيء ليس له وجود ؟ وبذلك يكون من أئمة الشكاك كما أخطأ فى فهمه بعض المحدثين. لكنه حل المشكلة حلاً صريحاً. [107] حينما وضح أن خلف هذه الظواهر حقيقة أعمق أثراً على الفكر ألا وهى الوحدة والانسجام الذى ينتهى إليه هذا الصراع. [108] فإذا تأمل المرء آراء هرقليطس عن كثب لاستطاع فهمها على نحو أوضح حينما يبين أن قوام العالم الحقيقى هو التآلف المتوازن بين الأضداد، فمن وراء صراع الأضداد ووفقاً لمقادير محسوبة يكمن انسجام خفى أو تناغم هو جوهر العالم. [109] فهذا الصراع هو فى الوقت نفسه تساوق Symmetry وتناغم، لا بمعنى التناسب العددى البسيط كما كان لدى الفيثاغوريين، بل بمعنى الائتلاف بين قوى تفعل كل منها فعلها باتجاه معاكس لفعل الأخرى، مثلها مثل القوى التى تبقى على وتر القوس مشدوداً.[110] إذن يتجلى الانسجام والائتلاف فى هذا الوجود من خلال هذا الصراع الذى بالرغم من وجوده إلا أنه يختفى وراءه وحدة قائمة تمثل حقيقة الوجود.[111] فالأضداد تلتقى[*] فى النهاية، والأعداء لا يلبث أن ينعقد بينهم

لأن المعرفة أيضاً لا تستطيع أن تستمر كمعرفة إلا إذا استمرت دائماً فى الثبات والوجود. لكن إذا كان جوهر المعرفة بالذات يتغير، فإنه فى اللحظة التى يحدث فيها التغير تكون هناك معرفة، وإذا كان الانتقال مستمراً على الدوام، فإنه سيكون هناك انعدام معرفة دائماً، وفقاً لهذا الرأى لن يكون هناك أحد ليعرف، ولا شيء ليعرف".

- انظر: أفلاطون: كراتيلوس فى فلسفة اللغة، ترجمة وتقديم د. عزمى طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1995م ف 440، ص 207.

[*] يوضح هرقليطس أن هناك ناموس غير شخصى يحقق تناسق الأضداد ويستخرج من الحركة المتواصلة توتراً وتوافقاً يتيح الاعتقاد بوجود حقائق ثابتة، إذ ليس المطلوب نفى الأضداد، بل موازنتها.

الصلح، ويجتمع الكل وما ليس بكل، ويتآلف المتجانس Homogenized والمتنافر Heterogeneous، وينسجم القوس مع الوتر.[112] من هنا ندرك أن الأيونيين والفيثاغوريين التمسوا الوحدة خارج الكثرة وخارج الأضداد، أما هرقليطس فقد وجد الوحدة Unity فى الأضداد نفسها، فهى كثيرة وواحدة فى آن واحد. فالناس يتعجبون كيف يكون الشيء متفقاً ومختلفاً فى آن واحد. فالظاهر لنا هو الكثرة وهذه الأضداد، أما الحقيقة فهى الوحدة لكنها وحدة خفية لا تدرك بالحواس.[113] لأن الصورة الواضحة للعالم مختفية، هذا الاختفاء الذى يرتد إلى اعتقاد كل منا رؤية تجاه تفاصيل هذا العالم تختلف عن الآخر.[114]

إن فكرة هرقليطس عن الائتلاف والانسجام عبر عنها بصورتين هما:

- **الأولى:** رياضية Mathematical عبر عنها بقوله: "فى محيط الدائرة يلتقى البدء والنهاية".
- **الثانية:** حربية Battleship عبر عنها بقوله: "يجهل الناس كيف يكون الشيء مختلفاً ومتفقاً مع نفسه".[115] فالوحدة والائتلاف الذى يشير له هرقليطس لا يخلُ من توتر هو سر ديمومة الصيرورة، أى أن الاتساق Consistency الذى يعقب التضاد غير ثابت فلابد أن يفضى إلى تضاد يعقبه اتساق وهكذا دواليك.[116]

فكل شيء موجود هو تناغم من التوترات المتقابلة، فالتناغم يحتوى بالضرورة مبدأين متعارضين، وبالرغم من تعارضهما يكشفان عن وحدة ضمنية.[117] تلك الوحدة التى تختفى وراء هذا التغير.[118] فوحدة الأشياء تكمن

- انظر: الأب جيمس فينيكان اليسوعى: أفلاطون سيرته، آثاره ومذهبه الفلسفى، دار الشرق، ط 1، بيروت، لبنان، 1991 م، ص 13.

فى عقيدة ثابتة لا تتغير حيث تتمثل فى تدفق وجريان الأشياء. [119] إذن يتضح أن جوهر الفكر الفلسفى الهيرقليطى يقوم على الوحدة، بينما التمايز Differentiation ليس فى منظومته سوى تمايز ظاهرى. [120] فعلى الرغم من التحولات التى توجد فى الكون؛ إلا أنه يختفى وراءها انسجام كونى. [121] هذا الانسجام الكونى يراه هو أفضل الأشياء فى حين اختفائه. [122] إذن الهدف من الصراع لدى هرقليطس هو طرد التشيؤ وإحلال الكمال، ومن ثم الوصول إلى تناغم وتأسيس محبة فيقول : "إن ذلك الذى فى تعارض لهو الشىء المتماسك، ومن الأشياء التى تختلف يظهر أجمل تناغم".[123] فمع وجود الصراع يتحقق أيضاً الانسجام والوحدة.[124] فالاختلاف بين الأشياء يوضح صفات أو خصائص الأشياء التى تتغير حسب السياق، لكن يجب أن نعلم أن هناك كيانات أكثر إطلاقاً وموضوعية.[125] فالبحث خلف هذه الأضداد هو الأمر الباعث نحو الكشف عن الائتلاف بينهما، ولا يتم ذلك إلا من خلال بذل المجهود وعبر كفاح طويل.[126] فالرجل الحكيم Wise ينال الحكمة من تمسكه بالوحدة المشتركة التى تسرى فى العالم كله، والدولة المثالية لمثل هذا الرجل سوف تكوّن بمرور الزمن دولة تشمل العالم أجمع.[127]

يعتقد الباحث من ذلك أن هرقليطس يضرب أروع الأمثلة فى كونه يربط بين الإنسان والوجود باحثاً عن الوحدة فيهما ليوضح قيمة الفلسفة الحقة التى تخرج الإنسان من ظلام الفكر إلى نوره فى استقامة الوجود عامة ووجوده خاصة. لذا كانت عباراته موحية بأسمى آيات الفكر الإصلاحي. لكننى أتساءل ما هى الأداة التى استطاع هرقليطس من خلالها الوصول إلى هذه الوحدة؟؟

هـ- اللوغوس(*) "قانون الانسجام":

(*) له معان كثيرة مشتركة ومتخصصة والأخرى مشكوك فيها :

أكد هرقليطس على أن كل مظاهر التغير والصيرورة إنما تحدث فى العالم طبقاً لنظام دقيق يحقق الانسجام بين الأضداد، والذى يحكم هذا النظام هو القانون الإلهى الكامن فى الوجود المتمثل فى "**اللوغوس**" أو العقل الإلهى الذى يسرى فى الوجود منذ الأزل إلى الأبد. [128] فهو مبدأ الحياة، مبدأ العالم، أو قانونه وعلة النظام والنسبة والتوازن والانسجام والمعقولية. [129] إن فكرة اللوغوس تحمل فى طياتها فكرة العدالة والصدق، فاللوغوس ليس فقط هو القانون العام أو النظام أو مصير الأشياء، بل هو أيضاً العدل الذى بدونه لا يوجد العالم. [130] إنه القاسم المشترك بين الجميع الذى لا يتفهمه البعض لأول وهلة على الرغم من أن جميع الأمور تسير وفقاً له. فالجميع يبدأ خبراته من خلال الممارسة العملية بمعرفة كل شىء وفقاً لطبيعته. ومن ينتهج ذلك يكون يقظاً، أما من يتملص منه فسيكون فى مصاف النيام. [131] لذا قال : لا تنصتوا إلىّ بل إلى اللوغوس الذى من خلاله يصير الكل واحد. [132] فكثير من الناس العاديين لا يدركون ما يجرى فى الكون أو فى الواقع ما هم أنفسهم فيه، كما لو كانوا فى طريقهم من خلال الحياة نائمين، لذا يعدون من خلال اللوغوس فى عداد المفقودين. [133] لذا يطالبنا

أ- **المعانى المشتركة** : كل ما هو منطوق، الرأى، الاستدلال، السبب، الحجة، التعليل، حقيقة الشىء.

ب- **المعانى المتخصصة:** المعيار، الحوار، العلاقة.

ج- **المشكوك فيها:** المبدأ العام، القانون العام، التعريف، ملكة العقل، الاتفاق.

لكن يمكن القول بأن المعنى الأساس للوغوس عند هرقليطس هو: القانون العام.

- انظر :- د. عزت قرنى: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ص ص 42، 43.
- أيضًا: هرقليطس : جدل الحب والحرب، ترجمة وتقديم وتعليق د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص ص 24، 25.
- أيضًا: - CC. Taylor; Routledge History of Philosophy, vol-1- from The Beginninge to plato, p. 88.

هرقليطس بأن ندافع عنه أكثر مما ندافع عن أسوار بلادنا، لأن اللوغوس أوسع اتساعاً من رقعة الأرض. [134] فرؤيته واضحة المعالم لكنها صعبة حين محاولة فهمها أو تعليمها. [135] لأنه يمثل القاعدة التفسيرية لما يحدث فى السلوك المادى للعالم. [136] فكل ما فى هذه الحياة خاضع لهذا القانون، ولا يتم معرفته إلا من خلال حكيم متمرس على ملاحظة الظواهر. [137] لكن القول به أدى **بأرسطو** إلى اتهام هرقليطس بأنه كسر قانون عدم التناقض بقوله بوحدة الأضداد. [138]

إن اللوغوس عند هرقليطس هو وحده الذى يقدر لهذه الأضداد المتباعدة أن تجتمع فيه، وهو وحده الذى يحملها على التجلى والظهور. فإذا استمعنا إلى ما يقوله اللوغوس فقد استمعنا إذن إلى حقيقة الكل التى اجتمعت فى الواحد، ونستطيع أن نقول : أن الكل يصدر عن الواحد، كما أن الواحد يصدر عن الكل، فكلاهما مرتبط بالآخر فى تجانس وانسجام متبادل، وكلاهما متفق ومختلف فى آن واحد، ولن نتبين العلاقة بينهما حتى نفهمها فهماً ديالكيتكياً.[139] حيث يرى هرقليطس أن وراء كل التحولات والتناقضات فى الطبيعة وجوداً واحداً أو كلياً هو أصل جميع الأشياء. [140] الذى لا يقبل التغير فى عمليات التغير التى تتم فى الكون. [141] فهو أساس صحة وصدق الأشياء. [142] بهذه الوحدة الوجودية فى المدلول الواحد الذى عبر عنه هرقليطس لم يعد ضرورياً قيام موجد لهذا العالم، فالعالم منظم لم يخلقه إله ولا إنسان. [143]

من هنا يتضح لدى هرقليطس سيطرة الضرورة Necessity وسيادتها على الوجود سيادة تامة، إذ يسود قانون اللوغوس على كل جزئيات العالم. فما يجرى من تغير دائم بين الأضداد– محكوم بقوة عظيمة مسيطرة من النظام والتقدير– هى قوة اللوغوس. [144]

و- النظرية الدورية :

لقد عبر معظم فلاسفة اليونان الأوائل بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد عن الرؤية الدورية فيما يتعلق بتفسير الوجود. وكان هرقليطس من أبرز مَنْ عبروا عن هذه النظرية وأشار إليها فى شذراته حينما وضح أن دورات العالم الطبيعى أساسها النار التى تشتعل بحساب وتخبو بحساب. وقد عبر عن التكرار الدورى فى قوله : الطريق إلى أعلى والطريق إلى أسفل واحد ونفس الطريق.[145] فوضح أن من جملة التساوقات النظامية تساوق رئيس يحكم تغيرات الزمن الدورية ويقضى بعودة الأيام والشهور والأعوام بعد دورة مماثلة لذاتها دواماً. وقد سعى هرقليطس مستلهماً مأثوراً قديماً جديراً فى الزمن إلى عهد الحضارة البابلية، إلى تحديد سنة كبرى تكون لحياة الكون ما يكونه الجيل للحياة البشرية(*).[146] فيعتقد هرقليطس أن الوجود تأتى عليه دورات يفنى فيها ثم يبدأ من جديد وهكذا باستمرار. يوجد أولاً العالم ويستمر فى التغير والتطور حتى ينتهى تطوره إلى حد يفنى فيه كل الوجود، ثم يأتى من جديد وجود آخر يبدأ من حيث انتهى الوجود الأول ويكرر تمام التكرار الوجود السابق. [147] يتم ذلك من خلال الاحتراق الكونى بعد أن يكون قد أفنى كل شيء. [148] فالوجود يظل يمر وفقاً لدورات من خلال النار، تلك الرؤية – **الاشتعال** – الذى أثرت فيما بعد على مخيلة الشعراء

(*) وضح الكلدانيون الذين اشتهروا بالفلك أن طول الدورة الكونية يحدد بالوقت الذى استغرقته الكواكب السبعة المعروفة مشتملة الشمس والقمر فى العودة إلى الاقتران. فطول السنة الكبرى فى الأثر الكلدانى يؤخذ على أنه يساوى 36000 من السنوات العادية، وهو رقم اختير بوضوح على أساس آخر غير التقدير الفلكى الدقيق. ويمكن أن يوجد آثار مذهب مماثل غامض فى تراث الهند وإيران القديمتين. فقد كانت السنة الكبرى عند اليونان تقدر على أنها 18000 سنة أو 10800 سنة والرقم الأخير يمثل استغاثة خاصة لشعب متشوف أن يجد العلاقات بين الإنسان والعالم الأكبر، لأنه يمثل ناتج ضرب 30 (متوسط الفترة بين جيل إنسانى وجيل تالى له) فى 360 (الفكرة المصوغة فى عدد الأيام) ومن ثم فإن العقل القديم كانت السنة القديمة لهذا الطول تمثل ستة أجيال إنسانية مع الفترة بين جيل وجيل تال له محسوبة باليوم.

– راجع : د. ماهر عبد القادر محمد : محاضرات فى الفلسفة اليونانية، ص 79.

حتى العصر الحاضر. [149] إذن العالم عند هرقليطس نشأ من النار، وسيحترق بعد فترة زمنية، ثم يعود تشكيله من جديد فى دورة لا نهائية من التغير الدورى.[150] يوضح هرقليطس ذلك من خلال حديثه عن تحول الأشياء وصراعها من خلال قانون التغير الذى يتم بطريقة متوازنة من أعلى إلى أدنى والعكس. [151] مع بقاء كمية المادة الأولى – النار – واحدة. ومن تقابل هذين التيارين يتولد النبات والحيوان على وجه الأرض. غير أن النار تخلص شيئاً فشيئاً مما تحولت إليه، فيأتى وقت لا يبقى فيه سوى النار، وهذا هو الدور التام أو السنة الكبرى التى تتكرر إلى غير نهاية بموجب قانون ذاتى ضرورى. [152] فتتم تغيرات النار حسب أزمان منتظمة : والعالم يموت ويولد من جديد على فترات معينة، ويقع كل ميلاد وكل وفاة فى الساعة التى يحددها القدر Destiny - Fate. [153] مما يلاحظ أن هرقليطس اهتم بوصف عودة الأشياء إلى النار أكثر من اهتمامه بوصف انفصالها عنها كما يلاحظ عند "**أنكسمندريس**" ويفسر البعض هذه الملاحظة بأنه كان أكثر عناية بالتدمير من البناء، لهذا قال بفكرة الاحتراق الكلى Conflagration التى اقترن بها فكرة العود الأبدى والسنة الكبرى Endless return of every thing.[154]

لكننى أعتقد أن هرقليطس بتلك الرؤية لم يقصد نهائياً الهدم، بل العكس قصد البناء، لأن بحثه عن العنصر والمبدأ الأساس للوجود– النار– هو الذى يحدد مدى حرصه على السبيل الأمثل لنشأة الوجود مرة أخرى. لكنه هنا يتكلم كما قلنا بطريقة موحية ملغزة لكى يعلم الجميع أن الهدم وراءه بقاء إذ لا يمكن أن يستمر التدمير والهدم إلى الأبد، بل إن اللوغوس يشعل الحكمة التى يستطيع أن يقوم الإنسان من خلالها ببناء وجوده مرة أخرى.

المبحث الثاني
نظرية المعرفة

أولاً : الجدل المعرفى :

يتطلب المنهج الجدلى للمعرفة تناول كل الظواهر فى العالم المحيط بنا فى ترابطها وتفاعلها وتطورها الدائم، أى أن الإنسان لا يستطيع معرفة العالم المحيط به ومعرفة ذاته إلا بشرط كونه سيتناول ويدرس كل الظواهر فى حركتها وتغيراتها الدائمة، وبالانتباه قبل كل شيء إلى الانتقالات المتبادلة للظواهر وتحول بعضها إلى بعض. ويسعى هذا المنهج للعثور على المصدر الداخلى للتطور فى كل شكل من أشكال الحركة، وفى كل واقعة من وقائع التغير، هذا المصدر هو التناقضات الداخلية الموجودة فى كل ظاهرة وكل عملية وصراع هذه التناقضات وحسمها.[155] تلك النظرة الجدلية التى دعمت عند هرقليطس فى حديثه عن الصراع بين الأضداد والتناقض فى أقواله: "إن التخالف يجلب الائتلاف" و"إن الصراع عدل" و"النهار والليل، الشتاء والصيف، الحرب والسلم، الجوع والشبع متصلة، ففى طبيعة كل شيء جزء من ضده". على هذا الضوء من التفسير Interpretation يمكن أن يتمثل المنهج الجدلى فى المعرفة لدى هرقليطس كما يتمثل لديه اختلاط العقل والتأمل والحدس Intuition بالملاحظة الحسية والخبرة التجريبية.[156]

إن صراع الأضداد لدى هرقليطس يكشف فى حقيقة الأمر وحدتها، فالطريق الصاعد والهابط "**الحياة والموت**" كلها واحدة، وكلية التغير والقول لكل خاصية إلى ضدها تجعل كل الصفات نسبية، والأحاسيس هى أساس المعرفة، فإذا كان شيء ما يختفى عن النور الحسى، فإنه لن ينجح– بنفس القدر– فى الاختفاء عن نور العقل.[157] على هذا فقد اهتم هرقليطس بتوجيه الانتباه إلى

القضايا المتعلقة بنظرية المعرفة، حتى يمكن القول بأن هرقليطس يعد مؤسس نظرية المعرفة فى اليونان القديمة، وقد تمثل ذلك فيما حفظ من كتاباته فى مسائل نظرية المعرفة، التى ارتبطت عنده أوثق ارتباط بالكوزمولوجيا وبنظرياته حول الجمال Beauty والأخلاق Ethics.[158] لأن تصور المعرفة يرتبط ميتافيزيقياً بطبيعة الوجود، ويتشكل اجتماعياً فى إطار المجتمع ويتصل عقلياً بوصف أنماط وأشكال النشاط العقلى، كما يرتبط منطقياً بقواعد الاستدلال الصحيح، ويتعلق أيضاً نفسياً بعملية تكوين المعرفة، كما يتحدد أخلاقياً بالالتزام بالحقيقة.[159] فلقد اشتهر قدماء الإغريق بالنشاط المعرفى وحب المعرفة، والتوق إلى اكتشاف العالم مهما كانت العواقب وبلغت التضحيات.[160] على هذا يمكن القول بأن هرقليطس هو أول من بحث فى نظرية المعرفة وتساءل عن كيفية وصول الوعى إلى معرفة الكلى الذى يعبر عن حقيقة الأشياء، فهو أول من جمع بين الوعى والمبدأ الكلى والموضوع فى وحدة واحدة، والوجود المباشر ليس هو الوجود، وإنما الوجود الحقيقى، هو التوسط المطلق أو الوجود حين يكون موضوعاً للفكر أو هو الفكر ذاته.[161] لكن لم يميز هرقليطس بين الذات Essence العارفة والموضوع المعروف كما فى التفكير الحديث مثال ذلك : حديثه عن الحكمة أو ما سماه باللوغوس فتارة يعنى الحكمة بمعناها الموضوعى المستقل عن الذات العارفة كقوله : الحكمة واحدة، فهى راغبة وغير راغبة فى أن تسمى باسم زيوس، وقد تعنى العقل الإنسانى بالمعنى الذاتى كقوله: الحكمة واحدة وهى أن تعرف العقل الذى به تتحرك جميع الأشياء فى جميع الأشياء.[162]

لكن رأى هرقليطس أن صراع الإنسان نحو المعرفة أمر واجب، فهو صراع بين النوم واليقظة، والتكامل هو الخروج من عالم النيام إلى عالم الأيقاظ، وعندما يستيقظ الإنسان يكون قد أشعل قنديلاً يضئ به مستقبل حياته فيقول: "فى الليل يشعل الإنسان ضوء لأن بصره كليل، وعندما يكون حياً يدنو من الإنسان

الميت خلال النوم، وعندما يستيقظ يدنو من الإنسان الذى ينام".[163] كما يرى أن المأساة الكبرى تتمثل فى الذين يجردون العالم من حقيقته، وجعل الناس كالأشياء، لأن النائمين محصورون فى مفاهيمهم الجزئية فيقول : "لا يجب أن نتصرف ولا يجب أن نتكلم مثل النائمين". ويقول : "لا يجب أن نتصرف أشبه بأطفال آبائنا". ويزدرى من ينتهج ذلك قائلاً : "إنهم لا يفهمون وإن كانوا يسمعون، إنهم أشبه بالصم". كما يقول : "أى عقل أو فهم لديهم ؟ إنهم يؤمنون بشعراء الدهماء ويجعلون العامة معلمينهم، إنهم لا يعرفون".[164]

فإذا طلب منا أن نتساءل عن سبب نجاح هرقليطس فى الوصول إلى هذه المستويات من المعرفة ؟ يتلخص ذلك فى كونه استطاع أن يلخص اتجاهات عصره مع تطلعاته إلى درجة أعلى من المعرفية تجعله راضياً عن نفسه.[165] على الرغم من أن المعرفة لا تمثل مشكلة بالنسبة للشخص العادى الذى ينظر إليها باعتبارها شيئاً قد فرغ منه، وسيطر عليه، واستقر فيه، إلا أن ذلك لا يلغى إشكالية المعرفة فلسفياً.[166]

لكن كيف استطاع هرقليطس أن يحقق هذا السمو **Highness** والرقى **Sophistication** فى إدراك الحقيقة، وما هى خطواته فى تأسيس جدل معرفى يدرك من خلاله حقيقة الوجود؟؟

ثانياً : نقد المعرفة الحسية :

رفض كل من هرقليطس وبارمنيدس شهادة الحواس، وحاولا القيام بإصلاح الإدراك الحسى عن طريق الفكر، لكن اتبع كل منهما طريقاً مغايراً للآخر كيف؟؟ بينما يرى هرقليطس أن الحواس توهمنا بأن هناك وجوداً ثابتاً، لكن الحقيقة على عكس ذلك لأن كل شيء فى تغير مستمر، أما بارمنيدس يقرر مخالفاً له أن الحواس تخدعنا، إذ أنها تظهر لنا الأشياء كما لو كانت فى تغير

مستمر وأنها إلى فناء محقق، بينما الواقع بخلاف ذلك، إذ الوجود واحد ثابت غير متغير.[167] فرغم الاختلاف الكبير بين بارمنيدس وهرقليطس، إلا أنهما يشتركان فى القول ببطلان المعرفة الحسية. فقد حمل هرقليطس على المعرفة الحسية كما فعل بارمنيدس والإيليون، وبين أن معرفة الحواس ليست معرفة حقيقية بل هى ظن ولا تؤدى إلى اليقين. [168] بذلك يتفق كل من هرقليطس وبارمنيدس على إنكار صدق الحواس. [169] فيهاجم هرقليطس الحواس هجوماً شديداً، إلا أن هذا الهجوم ليس على الحواس ذاتها بل على اتباعها دون سيطرة وإحكام العقل لما تم الوصول إليه من معلومات. [170] إن المعرفة الحسية عند هرقليطس تقوم على ثلاث:

1- البصر 2- السمع 3- الشم. وأهمها جميعاً البصر، ثم السمع، فالعين أصدق خبراً من الأذن، لكنه يوضح أن هذه الحواس لا تحكم على سائر الأشياء، فهى لا تعدوا أن تكون نوافذ للمعرفة. لذلك كان الإدراك فى اليقظة أفضل من الإدراك فى المنام، لأن بالنوم تنقطع صلاتنا بالعالم الخارجى ماعدا الاستنشاق. [171] يقول فى ذلك : "العيون والأذان شهود سيئة للبشر." و"العين أصدق خبراً من الأذان." و "إنى لأمتدح كثيراً ما يرى ويسمع ويحفظ".[172] إذن يجب أن نعلم أن هرقليطس لا يرفض شهادة الحواس على إطلاقها، لكن هذه الشهادة مرفوضة تماماً بالنسبة للنائمين الذين اكتسبوا ذواتاً مزيفة بحيث لا تصلح العيون والأذان لتوصيل المعارف الحقيقية. أما من ليست نفوسهم بربرية، بل كانت لهم نفوس كلية ارتفعت من ذواتها والعوالم الخاصة إلى ذوات الآخرين والعوالم الكلية، فهى محصنة بالعقل، ومن ثم لا خوف عليهم من شهادة الحواس.[173] لأن النائمين يتمسكون بظواهر حسهم، ويقصرون معرفتهم على المعرفة الحسية فقط.[174] فهم لا يرتفعون عن عالمهم الحسى بأى درجة؛ لأنهم يستمتعون بأوحالهم وهى متعة رخيصة لا ترقى إلى متع العقل والنفس حيث النقاء والصفاء،

ويشير إلى ذلك بقوله: "لا تعربدوا فى الأوحال، فإن الخنازير تستمتع بالأوحال أكثر مما تستمتع بالماء النقى". ويزدرى ذلك قائلاً : "تفضل الحمير التبن على الذهب".[175] من خلال هذه الرؤية يرى هرقليطس أن الإنسان يشكل العالم بقدر ما أن العالم يشكله. وحينما كانت الأشياء فى العالم متباينة كانت لنا وسائل متباينة أيضاً للمعرفة للتعامل مع الأشياء حتى نقهر التشيؤ ونؤسس التكامل Integration من خلال جدل الاغتراب فيقول: "لو كانت الأشياء تتحول إلى دخان لأصبحت الأنف هى عنصر التمييز بينها".[176] لكن يحمل هرقليطس كما اتضح على الجهل الإنسانى الذى عزا منشأه إلى اقتصار بنى الإنسان على المعرفة الحسية. [177]

إن ظاهر النصوص عند هرقليطس قد يشير إلى تناقض! فمن وجهة يحترم هرقليطس الحواس ويقدر دورها، بينما من جهة أخرى يعتبرها شهود زور! لكن الحقيقة أنه لا تناقض فى ذلك، فهرقليطس رغم اعترافه بأهمية الحواس وبدورها فى المعرفة الإنسانية إلا أنه يعتبرها درجة ينبغى أن يعقبها درجات معرفة أخرى أهم وأفضل، إذ الحواس لا تكفى وحدها لإدراك الحقيقة.[178] لأن أول نقد يوجهه هرقليطس للمعرفة العادية أنها تتوقف عند الجزئيات ولا ترتقى إلى الجوهر الذى هو القانون العام، وينتج عن هذا عدم فهم الناس للكون، أى عدم معرفتهم له معرفة حقيقية، بل يخيل إليهم ذلك فقط.[179] فمن يتمسك ويتعلق بالمعرفة الحسية فهو يقف عند أسطح الأشياء، لهذا يسهل عليهم الكذب والخداع فيقول : "إن الإنسان المتظاهر بالحكمة لا يعرف أولا يحتفظ إلا بما يبدو ويظهر، زيادة على ذلك فإن العقاب يحيق بنا سجى الأكاذيب والشهادة الزور".[180] على هذا يرى هرقليطس ضرورة عدم بناء المعرفة عن طريق التخمين، لأن المعرفة الحقة لا تأتى إلا نتيجة الفروض التى قد تخطئ وقد تصيب فيقول: "لا تدعونا نلق

بالتخمينات كيفما اتفق عن أعظم الأشياء وأخطرها". ويقول: "تخمينات الناس ليست إلا لعب الأطفال".(181)

إذن المطلوب هو الحذر وعدم التسرع فى إصدار الأحكام Judgments، وتجاوز الظاهر Appearance إلى الحقيقة Reality بإتباع الفكر والتأمل Contemplation القوى وليس بإتباع السابقين. (182)

أعتقد من هذا: أن هرقليطس يبين طريقاً جدلياً واضح المعالم فى العملية المعرفية، إذ أنه يبين سبل العملية المعرفية من خلال نقد الأدوات الحسية ويوضح دورها وطبيعتها وكذلك حدودها وما ينتج عنها من أحكام تحتمل الكذب فى حين عدم دخول النقد المعرفى عليها، لكن فى حين نقد العملية المعرفية الحسية يتم الصعود من هذه الدرجة إلى درجة معرفية أخرى، بالتالى ينتقل الإنسان من حكم إلى حكم آخر. بناء على ذلك أيضاً يقسم البشر إلى من يقف عند المرحلة الأولى فتكون معرفته قاصرة، أما من يرتقى إلى عملية النقد المعرفية فيتحقق له إدراك آخر من خلال جدل معرفى فيتضح له حقائق لا يصدقها من وقف عند المرحلة الأولى ويعتبرها من قبيل الألغاز والغموض Mystery ، لأن النفس عدوة لما تجهله، وأعتقد أن هذا من أسباب النقد التى وجهت لهرقليطس فى الغموض. كما أعتقد أن هرقليطس سبق عصره فى النقد المعرفى لشهادة الحواس، إذ أنه يوضح أن آلات الإدراك الحسى تستقبل الانطباعات الحسية، لكنه يؤكد عدم قدرتها على الحكم. إذن هناك مفهومان: **الأول: الإدراك** Perception. الذى يعنى عنده استقبال الانطباعات الحسية. **والثانى: الحكم** Judjement. فإذا كانت الحواس تستقبل إلا أنها غير جديرة بالحكم على الأشياء. إذ لابد من وسيلة أخرى ودرجة ثانية. فما هى إذن الدرجة الثانية من هذا الجدل المعرفى؟؟

ثالثاً: العقل:

إن ما يمكن استنتاجه من آراء هرقليطس أنه يميل إلى عزل منطق المعرفة القائمة على غلبة الحس، إذ أن نظريته القائمة على اللوغوس تدخل فى سياق إبرازه وتأكيده غلبة منطق العقل على منطق الحس، خاصة وأنه يعتبر الحواس مجرد نوافذ للعقل الذى عن طريقه ومن خلاله وحده يتم التوصل إلى معرفة القانون الذى يتحكم فى الوجود بوحدة أضداده.(183)

فالطريق الموصل للحكمة عند هرقليطس يتمثل فى إتباع العقل وإعماله فى كل المعارف، لكنه يرى أنه على الرغم من أن اللوغوس مشترك بين الجميع إلا أن العامة تعيش وكأن لكل فرد عقلاً خاصاً به، لكن الطريق إلى ذلك ليس فى:-

- إتباع الشعراء
- إتباع الديانات التقليدية
- الديانة الأورفية.

إذ أن هذه الأشياء تفقد قيمة العقل، وأهم ما يتطلبه الفرد فى الوصول للحقيقة هو الاحتفاظ بالعقل فى حالة يقظة دائمة.(184) لأن الحقيقة المشتركة بين الناس لا تبدأ إلا إذا أعملوا العقل فى فهم حقائق الأشياء فيما تنقله إليهم حواسهم المتباينة من خبرات ومعلومات.(185) فيقول: "إذا تكلمنا بالعقل أو بالحكمة فيجب أن نؤسس قوتنا على ما هو مشترك بين الجميع بمثل ما تؤسس المدينة قوتها على القانون (العقل) بل على نحو أقوى، ذلك أن كل القوانين الإنسانية تتغذى بقانون واحد هو قانون إلهى، وهذا العقل يحكم إلى المدى الذى يشاؤه وهو كاف للجميع بل هو أزيد من الكفاية". ويقول أيضاً: "لهذا يجب أن يتبع الإنسان اللوغوس أو القانون العام، ألا وهو ذلك الذى هو شائع لدى الجميع .... فكيف يمكن أن يتسنى لأى إنسان أن يتخفى عن ذلك الذى لا يغرب أبداً".(186)

لذا يرى هرقليطس ضرورة تعمق الإنسان لما وراء الظواهر الحسية من علاقات ومعان تحتاج إلى فهم وتعقل واجتهاد فى التفكير المجرد، ويعترف أن ذلك الطريق صعب لما تحبه الطبيعة من التخفى لكنه يشير إلى ضرورته فيقول:

"إن لم نتوقع ما ليس متوقع فلن تجد الحقيقة أبداً".[187] كما يرى ضرورة البحث عن ذلك فى أعماق نفوسنا لأن العقل الذى فينا جزء من العقل الإلهى.[188] بذلك يكون هرقليطس أول فيلسوف إغريقى سار إلى العقل المعقد الذى يقهر العقول على التأمل والتفكير اللذين لا يعاديان المنطق.[189] إن هرقليطس لا يقدر إلا العقل وما له صله به. لهذا فإنه بجانب العقل يمجد البصر والسمع؛ لأن هاتين الحاستين هما الوحيدتان المرتبطتان بالعقل. فنحن عندما نسمع مجرد أصوات، بل نميز بين هذه الأصوات ونحدد أصحابها. وعندما ننظر لا نرى مجرد أشياء أمامنا، بل نرى علاقات بينها. والذى يقوم بالربط هو العقل فبالرغم من أن العقل يلعب دوره فى حاستى السمع والبصر، إلا أنه يلعب دوراً أكبر فى الإبصار، لأنه يحدد القبل والبعد، والقرب والبعد، كما يحدد على نحو أشد العلاقات ويرتبط بالتاريخ، فالبصر حاسة أكثر من السمع، لأن العقل يلعب دوراً أكبر فيها فيقول: "إن العيون شهود أكثر عدلاً ودقة من الأذان".[190] من هذا المبدأ يرى هرقليطس إمكانية التعرف على الكون من خلال نوع آخر للمعرفة يتضح من إدخال العقل فى العملية المعرفية الذى يكشف بمقتضاه الحقيقة التى تختفى وراء التغير البادى فى الكون.[191] فالفكر هو أعظم الأشياء جميعاً، ومن الحكمة قول الصدق والحق والعمل وفقاً للطبيعة.[192] إن منهج هرقليطس المعرفى كما سبق القول يستند على **خاصتين:** الحكمة ليست فى تعدد المعارف وكثرتها، بل فى الإدراك المباشر للحقائق الجوهرية، حتى وإن عارضتها المظاهر الخارجية للأشياء ثم الاعتماد على العقل. [193]

فالعقل يحدد ويحلل النظام العقلانى للكون من خلال توضيحه كيفية تحديد مسار الأشياء وفهمها بطريق يتحقق منه استجابة للفكر والعقل الإنسانى.[194]

أعتقد من هذا: أن هرقليطس يقدم فلسفة نقدية لنظرية المعرفة واضحة المعالم يحدد فيها أن الحس يستقبل المعلومات الحسية لكن العقل هو الذى يقوم بالربط بين تلك الإحساسات كى يتضح الوجود الحقيقى من خلال عدم تقبل المعرفة الحسية عن طريق التخمين، وتعتبر هذه الدرجة– العقل– هى الموصلة إلى نقاء المعرفة الحسية والبعد عن الأحكام الظنية كى يصعد إلى مرحلة ودرجة أعلى تتمثل فى الإدراك المباشر للحقيقة من خلال الحدس والاتحاد بالحقيقة كيف ذلك؟؟

رابعاً : الحدس والاتحاد بالحقيقة :

ما هى الأدوات المعرفية التى استطاع هرقليطس من خلالها كشف الحقيقة فى الوجود؟ يرى **نيتشه** أن هرقليطس تجاوز وقفز على الطريقة العقلية والمنطقية القائمة على مبدأ الهوية وعدم التناقض. فحكمته الشعرية وشذراته الفلسفية تعتبر اختراقاً مطلقاً لكل ما هو عقلى ومنطقى، بحيث أنه حمل لنفس المحمولات محمولات متناقضة، وجعل الشىء هو ولا هو فى نفس الوقت، وهذا كفيل بجعل الفكر لا منطقى.[195] لأن غاية المعرفة الحقة عند هرقليطس هو الإتحاد Union أو الاتصال بين المدرِك والمدرَك. [196] فالإنسان لكى يعرف الحقيقة يجب أن يتحد بها إتحاداً كلياً، لأن العقل لكى يدرك الحقيقة لابد أن يتحد بها. ويتضح من ذلك أن منهج هرقليطس الذى يقتضى الإتحاد بالحقيقة هو منهج أقرب ما يكون إلى مناهج التصوف Mysticism حيث نعرف الحقيقة بالعيان المباشر وبالاتصال، فهو على حد وصف "**برتراندرسل 1872 – 1970 م**" Russell على رأس الفلاسفة الذين جمعوا بين التصوف والمنطق على السواء. [197] إذن يرتفع هرقليطس إلى الحدس أو العرفان الذى يعنى النظر والاطلاع المباشر على موضوع ذهنى أو تصور عقلى، ويتم هذا الاطلاع دفعة واحدة، وكأنه انكشاف وتدفق. هذا المنهج الحدسى سوف يجعل هرقليطس من الفلاسفة المعروفين فى

التاريخ باللاعقلانيين، أى لا يستند إلى الضوابط العقلية الشائعة والتى تقيد الفكر بجملة من القواعد والضوابط. [198] مما جعله يزعم بأنه قد عرف "**الكلمة**" لا عن طريق السمع، بل عن طريق الإلهام Inspiration، من أجل ذلك كانت لغته أشبه بلغة نبي أو رسول يريد أن يوقظ الناس من سباتهم. [199] بتوعيتهم إلى أن العقل لا يدرك الحقيقة إلا عن طريق اتحاده كلياً. [200] يتضح من هذا كما بين "**هيجل**" **1770 –1831م Hegal** و"**ماركس**" **1818–1883م Karl Marx** أن هرقليطس فيلسوف ثورى من نسيج خاص، حيث سبق عصره بعشرين قرناً ونصف؛ لأنه الأصل الذى انبثق منه التصور الديالكتيكى للكون. وهكذا، فلئن كان الأقدمون وفى أعقابهم رجال القرون الوسطى قد بخسوه حقه ولم يقدروه حق قدره لعجزهم عن فهمه وإدراك مراميه، فإن المحدثين قد أعادوا النظر فى فلسفته من جديد وردوا إليه ما يستحقه من الاعتبار. [201] حيث لم يكن هناك فيلسوف من الفلاسفة السابقين على "**سقراط**" **469–399 ق.م Socrates** كان له كبير أثر على أجيال عديدة من المفكرين اللاحقين مثله. ولا يمكن لأى مفكر ربما فى تاريخ الفكر الفلسفى حيث ألهمت مجموعة كبيرة من أفكاره المختلفة اللاحقين عليه وذلك ما يدل على عبقريته. [202] فقد أثر تأثيراً كبيراً فى تاريخ الفكر الفلسفى قديماً وحديثاً، فتأثر به قديماً "**أقراطليوس**" Critolous الذى أخذ بفكرة التغير المطلق إلى حد وصل به إلى رفض الكلام والاكتفاء بالإشارة، وتأثر **أفلاطون 427–347 ق.م Plato** بأقراطليوس ثم أخذت الرواقية The Stoicism بكثير من آرائه. [203] كما حظى هرقليطس باهتمام بالغ فى العصر الحديث خاصة عند هيجل وفى الفلسفة الماركسية، لأنه أول من أكد حقيقة الصراع والتغير فى الوجود، وأول من عارض منطق الثبات الصورى بمنطق حركى ديالكتيكى مطابق لحركة الواقع. [204]

فالمنطق الحديث وبخاصة منطق العلوم وفيزياء النسبية حملت المصداقية لكثير من المقولات الهيرقليطية، وهنا تكمن عبقرية وعظمة هرقليطس من خلال نتاجه الفكرى فى الفكر المجرد Abstract والديالكتيك.[205] مما أثار إعجاب هيجل له فى القرن التاسع عشر واستخدام نفس تعبيراته فى الديالكتيك والتناقض.[206] فقد رأى فيه الأب الحقيقى لمذهبه فى الروح المطلق Absolute، الذى تتلاقى فيه الأضداد وتستريح، ويتعانق عنده الفكر والوجود، وترسو عليه سفينة المصير بعد رحلة الصراع. كما أحبه "**نيتشه**" حتى كاد أن يكون هرقليطس ثانياً فى العصر الحديث. وفتنت "**هيدجر**" **1889-1976 م Heidegger** منه دعوته الجريئة إلى الاستماع إلى صوت الحقيقة أو اللوغوس. [207] من هنا ندرك أن هرقليطس كان أول فلاسفة اليونان الذى استطاع أن يكرس ذاته للتأمل والتفكير، مما جعل آراءه مصدراً خصباً لمن أتى من بعده رغم ما وصف به من الغموض وعدم الوضوح. [208]

لكننى أعتقد أن هذه النظرة هى أسمى ما يصل إليه المرء من حقائق، لأنها هى التى تكشف عن أن مصادر العملية المعرفية لا تنتهى إذ فى حين تمسك الإنسان بالحس دون معرفته للعقل فالطبيعى إذن أن يرفض العقل وهذا واضح فى تاريخ الفكر الفلسفى، وحينما يأتى آخر ويقر بالحدس والاتصال المباشر فمن الطبيعى الحكم عليه بذلك، لكن لماذا لا نمهل أنفسنا نحو كشف حقيقة هذا الطريق عله يصل بنا إلى ما يمكن الوصول بغيره إليه. فتتجلى لنا الحقائق جلّيه لا أن نتهكم ونسبغ عليه أحكام وصفات لا عقلانية لمجرد أنه أدرك الحقيقة إدراكاً مباشراً بعين البصيرة Insight إذ لابد من فلسفة واضحة تقبل الآخر ولا ترفضه إلا بناء على براهين عقلية سليمة، كما أن الرفض هنا يجب ألا يكون رفضاً تاماً، لكنه يمثل عدم اقتناع بالفكرة لحين الوصول إلى دعائم القبول من : وضوح وتميز وبساطة وشمول.

من هنا يتضح لدى هرقليطس جدلاً وجودياً ومعرفياً فى ذات الوقت إذ كل مرحلة فى الوجود يناظرها إدراك perception ففى المرحلة الأولى توهم الثبات الذى يناظره إدراك الحواس، ثم مرحلة الصيرورة التى تحوى فى باطنها الائتلاف بين الأضداد ثم الوحدة التى يناظرها اللوغوس أو العقل كوسيلة إدراك معرفى فى الاتجاه الآخر، ثم يعقب ذلك القانون العام أو اللوغوس هذه الحقيقة التى يناظرها الإدراك المباشر والاتصال بالحقيقة بعين البصيرة كما يمكن تمثيل ذلك كالآتى :-

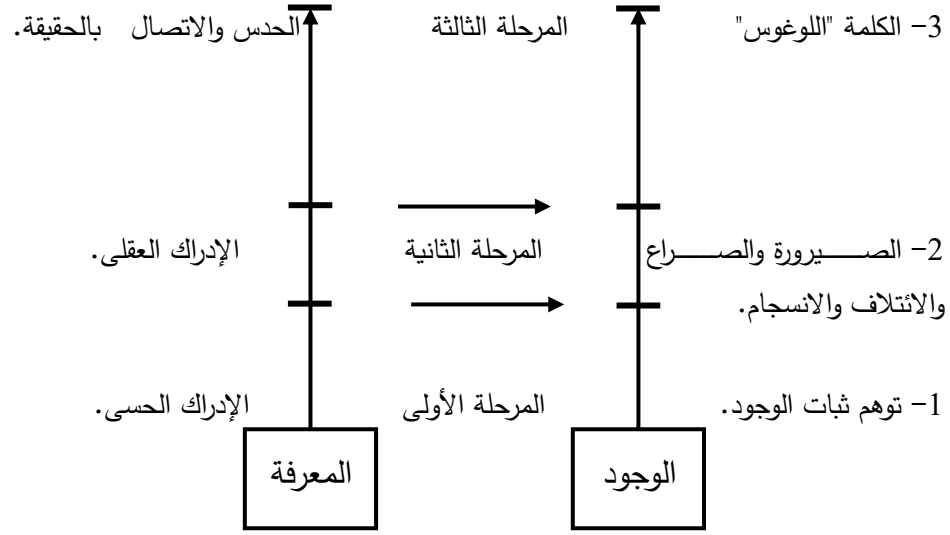

يتضح من هذا **كما يعتقد الباحث** صعود هرقليطس من المعرفة الحسية بإدخال النقد العقلى عليها منتقلاً بدوره من **المرحلة الأولى** التى تدرك توهم ثبات هذا الوجود إلى كشف حقيقة ما فيه من صراع بين الأضداد وكشف الانسجام الخفى فى هذا الصراع عن طريق العقل من خلال **المرحلة الثانية**، ثم يقفز فى **المرحلة الثالثة** قفزة ميتافيزيقية توضح الاتصال المباشر بالقانون العام للوجود أو اللوغوس المعبر عن الوحدة القائمة خلف حقائق الأشياء : لذا يوضح للبشرية أن هناك طريقاً جدلياً صاعداً نحو الوصول للحقيقة يقابله العقلاء الذين يفهمون ذلك ويصعدون إليه وعلى الوجه الآخر من يتوقف من البشر عند مرحلة بعينها مع

علمه بالمراحل الأخرى لكنه يرفض ذلك مفضلاً ما هو عليه من معرفة زائفة، ثم يزدرى كل من ترك الطريق الأول وسلك الثانى، لأن الأول "**العقلى، الحدس**" هو الموصل للإتحاد المباشر بالحقيقة الذى ترتبط عروتها الوثقى بحيث لا يستطيع أحد أن يشكك فى الحقيقة بعد إدراكها. أما الآخر فسيظل عبئ على ذاته ومجتمعه لأنه رضى لذاته بمعرفة زائفة لا طائل من ورائها، كما أنه وقف عند حد ظاهر الوجود ولم يرتق إلى حقيقته. نعم ما أسماها من رؤية جعل البعض يشبهها برؤية الأنبياء، فهل من سبيل إلى فتح باب القبول لنوافد معرفية أخرى أم نقف عند حد المعلوم فقط رافضين أى طريق آخر. !!

الخاتمــة

لقد عبرت فلسفة هرقليطس الجدلية عن سمو العقلية الفلسفية فى إدراكها لحقيقة هذا الوجود التى تخفى على من أوقف نفسه عند حدود المعرفة الزائفه ولم يرتق إلى ما هو أسمى من ذلك، لذا فإن انكشاف وتجلى الحقائق الوجودية يرتبط أشد ارتباط بالجدل المعرفى، حيث لا يمكن لأى إنسان أن يطلع على درجات سمو هذا الوجود دون السمو أيضاً بآلات إدراكه نحو البحث عن الأداة الأمثل لهذا الإدراك. على هذا توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج البحثية يوجز أهمها فيما يلى:-

1- يعد هرقليطس أول من أعطى تصوراً جدلياً للعالم ووصفه بأنه متحرك وليس متحجر ثابت.

2- أعطى هرقليطس مثلاً رائعاً فى الثورة الفكرية فى رفض الثبات والإقرار بتغير العالم وصيرورته، لكنه مع هذا ضرب مثلاً آخر فى المعقولية حينما وضح أن الانسجام الخفى ضرورى فى الصراع والتغير البادى فى الكون إذ

لا وجود بدون صيرورة. وذلك فى صورة جدلية من خلال اختياره للنار كمبدأ أصلى لنشأة الكون.

3- رفض هرقليطس وجود عالم آخر غير عالمنا الذى يخضع للصيرورة والتغير، ووضح أن كماله فى صراعه وانسجامه.

4- إلتمست المدرسة الأيونية والفيثاغورية الوحدة خارج الكثرة والأضداد، لكن هرقليطس رفض ذلك حيث إلتمسها فى الأضداد ذاتها، فهى كثيرة وواحدة فى آن واحد.

5- ركز هرقليطس على النظرية الدورية التى تؤكد من وجهة نظرى البناء لا الهدم، حيث يؤكد أن الهدم يعقبه بناء، وأن الوجود سيظل قائماً إلى الأبد فى صراع المتضادات الذى يحيى من خلاله القانون العام "**اللوغوس**" المعبر عن الانسجام الخفى للكون.

6- قدم هرقليطس تفسيراً واضح المعالم لانتقاد المعرفة الحسية، مما جعله فى جدله المعرفى يبحث عن أدوات الإدراك الصحيحة كى ينتقل من خلالها إلى كشف اللثام عن هذا الوجود.

7- ربط هرقليطس الجدل الوجودى بالجدل المعرفى حينما وضح سبل المعرفة لدرجات الوجود من خلال الانتقال من النقد للمعرفة الحسية بالصعود للإدراك العقلى، ثم يقفز قفزة ميتافيزيقية تحير البعض فيها نحو قوله بالإتحاد المباشر بالحقيقة الذى جعل البعض يسبغ عليه صفات المتصوفة، حيث استند هنا إلى نور البصيرة فى عملية الإدراك.

أعتقد من جانبى أن هرقليطس قد أيقظ فعلاً العقل اليونانى من سباته، حيث امتلك جرأة فكرية كبيرة حينما أسس لفكرة الصيرورة التى كان الفكر اليونانى لا يقبلها حيث دائماً ما كان يبحث عن الثبات. وأعتبرها من وجهة نظرى ثورة

فكرية أتاحت للفكر الفلسفى البحث فى حقائق واقعية وأدوات معرفية ليتطور الفكر الفلسفى الوجودى وكذلك المعرفى، أيضاً انعكس ذلك على فلسفة العلم التى تبحث فى التغير لمحاولة الكشف عن سر هذا الوجود. لذا لم يكن غريباً على هرقليطس أن يعطى ذلك فى صورة رمزية موحية، لأن ذلك يعارض الفكر العام فى المجتمع الذى يبحث دائماً عن الثبات وعن الحقيقة المطلقة. لذا أعتبر هرقليطس من وجهة نظرى الموحى لكل مَنْ قال بالحركة والنسبية من بعده، إذ يعتبر الجد الأول لهم الذى قال ذلك لكن بصورة رمزية، ولا عجب فى ذلك فمعظم من جاءوا بعده على مدار التاريخ الفلسفى لم يصرحوا بذلك مباشرة، كى لا يصتدموا بمن يبحث دائماً عن الحقائق المطلقة الثابتة التى لا تقبل القول بالتغير والحركة.

هوامش الدراسة

(1) د.رجب بودبوس: فلسفة الفلسفة، جـ2، مباحث الفلسفة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، ليبيا، 1424 هـ، ص 9.

(2) R. B. A. Appeltton; The Elements of Greek philosophy from Thales To Aristotle, Methuen & Co, L-t-D, first published, London, 1922, pp. 14, 16, 19.

(3) B. A. G. Fuller; History of philosophy, Thales to Democritus, Henery Holt & co, N. Y, 1923, pp. 120-121.

(4) Sister, M. Thomas Aquinas, O. S. D, The pre-Socratic use of Aterm for the principle Motion, National capital press, inc, Washington, 1915, p. 25.

(5) د.أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998 م، ص 68.

(6) جورج بوليتزر: مبادئ أولية فى الفلسفة، نقله إلى العربية وقدمت له د. فهيمة شرف الدين، ضبط المصطلحات الفلسفية د. موسى وهبة، دار الفارابى، ط 1، بيروت، لبنان، 1979م، ص 128.

(7)نفس المرجع: ص ص 130، 131.

(8)نفس المرجع: ص 83.

(9)نفس المرجع: ص ص 82، 83..

(10)نفس المرجع: ص 83.

(11)د.محمد سعيد رمضان البوطى: نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتيك)، دار الفكر، ط1، دمشق، 1398 هـ، 1978م، ص 18.

(12)جورج بوليتزر: المرجع السابق، ص 124.

(13)وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م، ص 70.

(14)نفس المرجع : ص 71.

(15)د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، جـ1، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط1، القاهرة، 1938 م، ص 73.

(16)راكيتوف: أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمى، دار التقدم، موسكو، 1989 م، ص 62.

(17)Fredrick Copleston, S. J; Ahistory of philosophy, vol -1- Greek & Rome, published by : Double day; N. Y, 1993, pp. 40-41.

(18)أندريه إيمار، جانين أو بوايه: تاريخ الحضارات العام –1– الشرق واليونان القديمة، نقله إلى العربية فريد م. داغر، فؤاد. ج. أبو ريحان، إشراف موريس كوزيه، منشورات عويدات، ط 2، بيروت، 1986 م، ص 301.

(19)Dr. Zeller; Ahistory of Greek philosophy, vol -11- from the Earliest to Time of Socrates, Longmans, Green & co, London, 1988, p. 21.

(20)AlFred William Benn; The Greek Philosophers, vol -1- Kegan Paul, Trench & Co, London, 1882, p. 24.

(21)Fredrick Copleston, S-J; Op. Cit, pp. 41-42.

(22)B. A. G. Fullar; History of philosophy, Thales To Democritus, p. 123.

(23)Anthony Kenny; Anew history of Western philosophy, vol -1- Ancient philosophy, Clarendon press, oxford, N. Y, 2004, p. 14.

(24)Eduard Zeller; Outlines of the history of Greek Philosophy, Revised by; Wilhelm Nestle, Trans by; L. R. Palmer, Meridian Book, inc, N. Y, 1955, p. 62.

(25)الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل وجلال العشرى وعبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية د. زكى نجيب محمود، دار العلم، بيروت، لبنان، د.ت، ص 494 مادة هرقليطس.

(26)راكيتوف : أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمى، ص 62.

(27) Anthony Kenny; Op. Cit, vol -1-, p. 14.

(28)Nicholas Bunnin & Jiyuan Yu; The Black Well Dictionary of Western Philosophy, Black well publishing. U. s. A. oxford, 2004, p. 302 M. Heraclitus.

(29)Dr. Zeller; Ahistory of Greek philosophy, vol -11- from the Earliest to Time of Socrates, p. 20.

(30)- R. B. A. Appeletton; Op. Cit, p. 20.

(31)Dr. Albert Schweglar; History of philosophy in Epitome, Trans by, Jnlius H. Seelye, Appleton & Co, London, 1864, p. 33.

(32)جيم هانكسون: المرشد إلى الفلسفة، ترجمة جورج حورى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، عمان، 1990 م، ص ص 8، 9.

(33)يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1300هـ، 1936م، ص ص 19، 20.

(34)الموسوعة الفلسفية إشراف م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة سمير كرم، مراجعة د. صادق جلال العظم، جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1974 م، ص 558، مادة. هرقليطس.ى المسكين، الكنيسة والدولة (الطائفية والتعصب)، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط6، 2006، ص29.

(35)د. أميرة حلمى مطر : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص 62.

(36)الموسوعة الفلسفية إشراف م. روزنتال، ب. يودين، ص 558، مادة. هرقليطس.

(37)د. أحمد عتمان: الأدب الإغريقى تراث إنسانياً عالمياً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، م، ص 434.

(38)Richard H. Pokin; The Columbia History of western philosophy, Columbia University Press, N. y, 1999, p. 11. M. Heraclitus.

(39)د. ماجد فخرى: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، لبنان، 1991 م، ص ص 35، 36.

(40)د. مصطفى النشار: مدخل لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 م، ص 60.

(41)يوسف كرم: المرجع السابق، ص 20.

(42)د. حربى عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992 م، ص 70.

(43)د. يحيى هويدى: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1993م، ص 12.

(44)السيد محمد حسين الطباطبائى: أسس الفلسفة والمذهب الواقعى، جـ1، تعليق أ. مرتضى المطهرى، محمد عبد المنعم الخاقانى، دار التعارف للمطبوعات، ط 2، بيرو ت، لبنان، 1408 هـ، 1988 م، ص 29.

(45)د. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهيلينستية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1414 هـ، 1993 م، ص 103.

(46)Theoder Gompers; Greek Thinkers, Ahistory of Ancient philosophy, Trans by; Lausie Magnus, M. A, John Murray, London, 1920, pp. 63, 64.

(47)د. حربى عباس عطيتو: الفلسفة القديمة، من الفكر الشرقى إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999 م، ص 129.

(48)يوسف كرم: المرجع السابق، ص 47.

(49)هيرقليطس: جدل الحب والحرب، ترجمة وتقديم وتعليق مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1980 م، شذرة 64 ، 90، ص 106.

(50)د. مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، جـ1، السابقون على السوفسطائيين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 134.

(51)James Frederick Ferrier; Lectures on Greek Philosophy and Ather philosophical Remains, vol -1-, William Black Wood & Sons, London, W. D. p. 112.

(52)د. ماهر عبد القادر محمد: محاضرات فى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985 م، ص ص 67، 68.

(53)د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص 63.

(54)د.محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهيلينستية، ص ص 104، 105.

(55)W. T. Stace; Critical History of philosophy, Macmillan & Co, London 2010, p. 34.

(56)الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية د. فؤاد كامل وجلال العشرى وعبد الرشيد صادق، راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية د. زكى نجيب محمود، ص 494، مادة. هرقليطس.

(57)عبد الكريم عنيات: نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، الجزائر، 1431 هـ، 2010 م، ص ص 72، 73.

(58)د. ماهر عبد القادر محمد: محاضرات فى الفلسفة اليونانية، ص 61.

(59)د. محمود يعقوبى: خلاصة الميتافيزياء، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1422 هـ، 2002 م، ص 10.

(60)د. ماهر عبد القادر محمد : المرجع السابق، ص 60.

(61)غنار سكيريك ونلر، غيلجى: تاريخ الفكر الغربى من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2012 م، ص 52.

(62)د. محمد الشيخ: نقد الحداثة فى فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2008 م، ص ص 225، 226.

(63)د. يحيى هويدى نصرى: دعوة للدخول فى تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1422 هـ، 2002 م، ص 22.

(64)Dr. Albert Schwegler; History of philosophy in Epitome, p. 32.

(65)وولترستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص 71.

(66)Robert Audi; The Cambridge dictionary of philosophy, Cambridge university press, N. y, 1995, p. 376. M. Heraclitus.

(67)عبد الكريم عنيات: المرجع السابق، ص 71.

(68)Dagobert, D. Runs; the dictionary of philosophy, philosophical library. Inc. N. Y, W. D, p. 124, M. Heraclitus.

(69)محمد الخطيب: الفكر الإغريقى، منشورات دار علاء الدين، ط 1، دمشق، 1999 م، ص 106.

(70)James Frederick Ferrier; Op. Cit, vol -1- p. 115.

(71)Christopher Shields; Classical philosophy, Acontemporary introduction, Routledge, first published, London, 2003, p. 9.

(72)د. حربى عباس عطيتو: الفلسفة القديمة، من الفكر الشرقى إلى الفلسفة اليونانية، ص ص 124، 125.

(73)Anthony Kenny; An illustrated Brief of western philosophy, Black well publishing, oxford, N. Y, 1988, p. 9.

(74)Joan. A. Price; understanding philosophy, Ancient and Hellnistic thought, Chelsea House. N. Y. 2008, p. 19.

(75)AlFred William Benn; The Greek Philosophers, vol -1- p. 23.

(76)W. T. Stace; Critical History of philosophy, p. 35.

(77)Eduard Zeller; Outlines of the history of Greek Philosophy, p. 62.

(78) ديف روينسون، وجودى جروفز: أقدم لك أفلاطون، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001 م، ص ص 24، 25.

(79)James Frederick Ferrier; Op. Cit, vol -1- p. 118.

(80)عبد الكريم عنيات : نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، ص ص 71، 72.

(81)James - A - Price; Op. Cit, p. 19.

(82)د. أحمد فؤاد الأهوانى : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، ط 1، القاهرة، 1954 م، ص ص 119، 120.

(83)R. B. A. Appeltton; The Elements of Greek philosophy from Thales To Aristotle, pp. 21-22.

(84)B. A. G. Fuller; History of philosophy, Thales to Democritus, p. 124

(85)د. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهيلينستية، ص 104.

(86)د. محمود مراد: الحرية فى الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999 م، ص 34.

(87)Hilda, D. Oakeley, M. A, Oxon; Greek Ethical thought from Homer to the stoics, dent & sons, L. T. D. N- Y, 1925, p. 34.

(88)James Frederick Ferrier; Lectures on Greek Philosophy and Ather philosophical Remains, vol -1- p. 114.

(89)إرنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس إسكندر، مراجعة د. محمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966 م، ص ص 101، 102.

(90)John Burnet; Greek philosophy, Thales to Plato, Macmillan & Co, Limited, London. 1950, p. 62.

(91)Hilda D. Oakeley; M. A, Oxon; Op. Cit, p. 34.

(92)Dr. Zeller; Ahistory of Greek philosophy, vol -11- from the Earliest to Time of Socrates, p. 17.

(93)د. عزت قرنى : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ذات السلاسل، الكويت، 1993 م، ص 46.

(94)و. ك. س.جثرى : الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، ترجمة وتقديم د. رأفت حليم سيف، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، مطابع الطليعة، بيروت، 1988 م، ص 52.

(95)هرقليطس: جدل الحب والحرب، ترجمة وتقديم وتعليق مجاهد عبد المنعم مجاهد، شذرة 126 ب، ص 100.

(96) د. عبد الغفار مكاوى: مدرسة الحكمة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ص 27.

(97) Dr. Zeller, Op. Cit, vol -11- p. 19.

(98) الموسوعة الفلسفية: إشراف م. روزنتال، ب. يودين، ص 558. مادة هرقليطس.

(99) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص ص 65، 66.

(100) بنيامين فارنتن: العلم الإغريقى، جـ 1، ترجمة أحمد شكرى سالم، مراجعة حسين كامل أبو الليف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص 47.

(101) فريدريك نيتشه: الفلسفة فى العصر المأساوى الإغريقى، تعريب د. سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، بيروت، لبنان، 1403 هـ، 1983 م، ص 56.

(102) د. عبد الرحمن بدوى: الموسوعة الفلسفية، جـ 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1984 م، ص 536، مادة. هرقليطس.

(103) John Burnet; Greek philosophy, Thales to Plato, p. 61.

(104) Dr. Edurd Zeller; Outlines of the history of Greek Philosophy, p. 63.

(105) Hilda D. Oakeley & M. A, Oxon; Op. Cit, p. 34.

(106) د. حربى عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، ص ص 71، 72.

(107) د. أحمد فؤاد الأهوانى: المرجع السابق، ص ص 124، 125.

(108) د. جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون – العصر الأول – مطبعة الإرشاد، ط1، بغداد، 1971 م، ص ص 51، 52.

(109) برتراندرسل: حكمة الغرب، جـ 1، ترجمة د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، ع62، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1978 م، ص 39.

(110) اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، جـ1، الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1982 م، ص 75.

(111) W. T. Stace; Critical History of Greek philosophy, p. 35.

(112) د. عبد الغفار مكاوى : مدرسة الحكمة، ص ص 27، 28.

(113) د. محمد عبد الرحمن مرحبا : المرجع السابق، ص 105.

(114)Christopher Shields; Classical philosophy, Acontemporary introduction, pp. 8, 9.

(115)د. عزت قرنى : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ص 46.

(116)د. ماجد فخرى : تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، ص 36.

(117)وولترسيتس : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص 72.

(118)C. C. W. Taylor; Routledge History of philosophy, vol -1- form The Beginning to Plato, Routledge, London, 1997, p. 93.

(119)Richard H. Pokin; The Columbia History of western philosophy, p. 11. M. Heraclitus.

(120)محمد الخطيب : الفكر الإغريقى، ص 108.

(121)Robert Audi; The Cambridge dictionary of philosophy, p. 376, M. Heraclitus.

(122)Hilda Oakeley, M. A & Oxon; Op. Cit, p. 34.

(123)هرقليطس: جدل الحب والحرب، ترجمة مجاهد عبد المنعم، شذرة 8، 51، ص 113.

(124)Anthony Kenny; Anew history of Western philosophy, vol -1- Ancient philosophy, p. 14.

(125)C. C. W. Taylor; Op. Cit, P. 93.

(126)Hilda Oakeley, M. A & Oxon; Op. Cit, p. 34.

(127)إرنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس إسكندر، مراجعة د. محمد سليم سالم، ص 102.

(128)د. محمد رشاد عبد العزيز دهمس: مع مسيرة الفكر الإنسانى فى العصر القديم، مطبعة الفجر الجديدة، ط 1، القاهرة، 1982 م، ص 60.

(129)د. حربى عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، ص 82.

(130)B. A. G. Fullar; History of philosophy, Thales To Democritus, p. 131.

(131) C. C. W. Taylor; Op. Cit, p. 88.

(132)Ibid; p. 89.

(133)Ibid; p. 88.

(134)د. مجاهد عبد المنعم مجاهد : مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 م، ص 102.

(135)William Jordan; Ancient Concepts of philosophy, Routledge, N. Y, 1990, p. 23.

(136)C. C. W. Taylor; Op. Cit, p. 90.

(137)د. جمال المرزوقى : مدخل إلى الفلسفة اليونانية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1423 هـ، 2002 م، ص 36.

(138)Richard, H, Pokin; Op. Cit, p. 11. M. Heraclitus.

(139)د. عبد الغفار مكاوى : مدرسة الحكمة، ص 25.

(140)جوستاين غاردر : عالم صوفى، رواية حول تاريخ الفلسفة، دار المنى، د. ت، ص 43.

(141)Nicholas. Bunnin & Jiyuan Yi; The Black will dictionary of western philosophy, p. 302. M. Heraclitus.

(142)C. S. Henery, D. D.; Epitome of the history of philosophy, vol -1- Henery & Bruthers publishers, N. Y, 1969, p. 123.

(143)د. جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون، العصر الأول، ص 52.

(144)د. محمود مراد: الحرية فى الفلسفة اليونانية، ص 31.

(145)د. مصطفى النشار: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، قراءة فى الفكر التاريخى عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 م، ص 84.

(146)اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، جـ1، الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرابيشى، ص 77.

(147)د. عبد الرحمن بدوى: الموسوعة الفلسفية، جـ2، ص 536. مادة. هرقليطس.

(148)فريدريك نيتشه: الفلسفة فى العصر المأساوى الإغريقى، تعريب د. سهيل القش، ص 60.

(149)Anthony Kenny; An illustrated Brief of western philosophy, p. 8.

(150)Dr.Eduard Zeller; Outlines of the history of Greek Philosophy, p. 63.

(151)B. A. G. Fuller; History of philosophy, Thales to Democritus, p. 129.

(152)يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ص20، 21.

(153)ألبيرريفو: الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها، ترجمة د. عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكرى، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د. ت، ص 60.

(154)د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، جـ1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986 م، ص 62.

(155)راكيتوف: أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمى، ص 35.

(156)د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص 69.

(157)الموسوعة الفلسفية بإشراف م. روزنتال، ب. يودين، ص 558 مادة هرقليطس.

(158)د. محمد فتحى عبد الله، د. علاء عبد المتعال: دراسات فى الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، د.ت، ص 123.

(159)د. عادل السكرى: نظرية المعرفة من سماء المعرفة إلى أرض المدرسة، تقديم د. حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، القاهرة، 1420 هـ، 1999م، ص 20.

(160)أ. أ. يتهاردت: الملحمة الإغريقية القديمة، ترجمة د. هاشم حمادى، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1994 م، ص 5.

(161)د. حربى عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، ص 85.

(162)د. أميرة حلمى مطر: المرجع السابق، ص 59.

(163)هرقليطس: جدل الحب والحرب، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، شذرة 26، ص 45.

(164)نفس المصدر: شذرة 73، 74، 34، 104، ص ص 51، 53.

(165)Theader Gompers; Greek Thinkers, Ahistory of Ancient philosophy, vol -1- Trans by, Laurie Magnue, p. 74.

(166)د. عادل السكرى: المرجع السابق، ص 21.

(167)د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى، جـ 1، من طاليس إلى أفلاطون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988 م، ص 77.

(168)د. محمد عبد الرحمن مرحبا : تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهيلنيستية، ص 106.

(169)د. محمد فتحى الشنيطى: المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1956 م، ص 69.

(170)د. عزت قرنى : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ص 49.

(171)د. محمد فتحى عبد الله، د. علاء عبد المتعال: المرجع السابق، ص ص 123، 124.

(172)د. عزت قرنى: المرجع السابق، ص 49.

(173)هرقليطس: المصدر السابق، شذرة 107، ص 61.

(174)نفس المصدر: شذرة 3، 17، ص 61.

(175)نفس المصدر: شذرة 9، 13، ص ص 54، 55.

(176)نفس المصدر: شذرة 7، ص 44.

(177)د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، جـ1، ص 77.

(178)د. مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، جـ1، السابقون على السوفسطائيين، ص 130.

(179)د. عزت قرنى: المرجع السابق، ص 48.

(180)هرقليطس: المصدر السابق، شذرة 28، ص 63.

(181)نفس المصدر: شذرة 47، 70، ص ص 72، 73.

(182)د. عزت قرنى: المرجع السابق، ص 48.

(183)محمد الخطيب: الفكر الإغريقى، ص 109.

(184)د. عزت قرنى: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ص ص 39، 40.

(185)د. مصطفى النشار: المرجع السابق، ص 131.

(186)هرقليطس: المصدر السابق، شذرة 113، 114، ص ص 79، 80..

(187)د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص62.

(188)د. محمد فتحى عبد الله، د.علاء عبد المتعال: دراسات فى الفلسفة اليونانية، ص 124.

(189)د. محمد غلاب: المرجع السابق، جـ1، ص 79.

(190)هرقليطس: المصدر السابق، شذرة 1، 1 3، ص 122.

(191)B. A. G. Fuller; History of philosophy, Thales to Democritus, p. 129.

(192)Hilda D. Oakeley & M. A, Oxon; Greek Ethical thought from Homer to the Stoics, p. 35.

(193)د. عزت قرنى : المرجع السابق، ص 39.

(194)B. A. G, Filler; Op. Cit, p. 130.

(195)عبد الكريم عنيات: نيتشه والإغريق – إشكالية أصل الفلسفة، ص ص 73، 74.

(196)د. جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون، العصر الأول، ص 52.

(197)د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، جـ 1، ص 58.

(198)عبد الكريم عنيات: المرجع السابق، ص 74.

(199)د. أحمد فؤاد الأهوانى: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 116.

(200)د. نوال الصايغ الصراف: المرجع فى الفلسفة – نحو فلسفة توازن التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى، دار الفكر العربى، القاهرة، 1983 م، ص 46.

(201)د. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهيلينستية، ص 102.

(202)C. C. W. Taylor; Routledge History of philosophy, vol -1- form The Beginning to Plato, p. 80.

(203)د. حربى عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، ص ص 84، 85.

(204)د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص 67.

(205)محمد الخطيب: الفكر الإغريقى، ص 109.

(206)Anthony Kenny; Anew history of Western philosophy, vol -1- Ancient philosophy, p. 13.

(207)د. عبد الغفار مكاوى: مدرسة الحكمة، ص 23.

(208)Theoder Gompers; Greek Thinkers, Ahistory of Ancient philosophy, Trans by; Lausie Magnus, p. 59.

المصادر والمراجع

أولاً :- المصادر :-

أ- العربية والمترجمة إليها :-

- **هرقليطـــس** 1- جدل الحب والحرب، ترجمة وتقديم وتعليق مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م.

ثانياً :- المراجع :-

أ- العربية والمترجمة إليها :-

- **أبو ريان "د. محمد على"** 1- تاريخ الفكر الفلسفى، جـ1، من طاليس إلى أفلاطون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
- **أفـلاطـــون** 2- ثياتيتوس أو عن العلم، ترجمة وتقديم د. أميرة حلمى مطر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- ـــــــ 3- كراتيلوس (فى فلسفة اللغة) ترجمة وتقديم د. عزمى طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1995م.

- **الأهوانـى "د. أحمد فؤاد"** 4- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، ط1، القاهرة، 1954م.
- **البوطى "د.محمد سعيد رمضان"** 5- نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتيك)، دار الفكر، ط 1، دمشق، سوريا، 1398 هـ، 1978م.
- **الخطيـب "محمـد"** 6- الفكر الإغريقى، منشورات دار علاء الدين، ط1، دمشق، 1999 م.
- **السكـرى "د. عـادل"** 7- نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، تقديم د. حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، القاهرة، 1420 هـ، 1999 م.
- **الشيـخ "د. محمـد"** 8- نقد الحداثة فى فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2008 م.
- **الشنيطى "د. محمد فتحى"** 9- المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة، 1956 م.
- **الصايـغ "د. نوال الصراف"** 10- المرجـع فـى الفلسفة نحـو فلسفة تـوازن بـين التفكير الميتـافيزيقى والتفكيـر العلمـى، دار الفكـر العربـى، القاهرة، 1983 م.
- **الطباطبائى "السيد محمد حسين"** 11- أسس الفلسفة والمذهب الواقعى، جـ1، تعليق أ. مرتضى المطهرى، محمد عبد المنعم الخاقانى، دار التعارف للمطبوعات، ط 2، بيروت، لبنان، 1408 هـ، 1988 م.

- **المرزوقى "د. جمـال"** 12- مدخل إلى الفلسفة اليونانية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، القاهرة، 1423 هـ، 2002م.
- **النشـار "د. مصطفى"** 13- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، جـ1، السابقون على السوفسطائيين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
- ـــــــــ 14- مدخل لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 م.
- ـــــــــ 15- من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، قراءة فى الفكر التاريخى عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
- **آل ياسين "د. جعفـر"** 16- فلاسفة يونانيون – العصر الأول، مطبعة الإرشاد، ط 1، بغداد، 1971 م.
- **اليسوعى "الأب جيمس فينيكان"** 17- أفلاطون، سيرته، آثاره، ومذهبه الفكرى، دار الشرق، ط 1، بيروت، لبنان، 1991م.
- **باركـر "إرنســت"** 18- النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس اسكندر، مراجعة د. محمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966 م.
- **برهييــه "د. اميـل"** 19- تاريخ الفلسفة، جـ1، الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1982م.

- **بودبـوس "د. رجـب"** 20- فلسفة الفلسفة، جـ2، مباحث الفلسفة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، ليبيا، 1424 هـ.
- **بوليتزر "جــورج"** 21- مبادئ أولية فى الفلسفة، نقله إلى العربية وقدمت له د. فهيمة شرف الدين، ضبط المصطلحات الفلسفية د. موسى وهبة، دار الفارابى، ط1، بيروت، لبنان، 1979م.
- **جثــرى "و. ك. س."** 22- الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، ترجمة وتقديم د. رأفت حليم سيف، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، مطابع الطليعة، بيروت، 1988 م.
- **دهمس "د. محمد رشاد عبد العزيز"** 23- مع مسيرة الفكر الإنسانى فى العصر القديم، مطبعة الفجر الجديدة، ط 1، القاهرة، 1982 م.
- **راكيتـــــوف** 24- أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمى، دار التقدم، موسكو، 1989م.
- **روبنسون "ديف، وجودى جروفز"** 25- أقدم لك أفلاطون، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001 م.
- **ريفـو "ألبيــر"** 26- الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها، ترجمة د. عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكرى، دار العروبة، القاهرة، د. ت.
- **ستيــس "وولتـر"** 27- تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984 م.

- **عبد الله "د. محمد فتحى، د. علاء عبد المتعال"** 28- دراسات فى الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، د. ت.
- **عتمان "د. أحمد"** 29- الأدب الإغريقى تراث إنسانياً عالمياً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013 م.
- **عطيتو "د. حربى عباس"** 30- الفلسفة القديمة، من الفكر الشرقى إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999 م.
- **ـــــ** 31- ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992 م.
- **عنيات "د. عبد الكريم"** 32- نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 1431 هـ، 2010م.
- **غاردر "جوستاين"** 33- عالم صوفى، رواية حول تاريخ الفلسفة، دار المنى، د. ت.
- **غلاب "د. محمد"** 34- الفلسفة الإغريقية، جـ1، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط 1، القاهرة، 1938م.
- **فارنتن "بنيامين"** 35- العلم الإغريقى، جـ 1، ترجمة أحمد شكرى سالم، مراجعة حسين كامل أبو الليف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958 م.

- **فخـرى "د. ماجـد"** 36- تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1991 م.
- **قرنـى"د. عــزت"** 37- الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ذات السلاسل، الكويت، 1993 م.
- **كـرم "يوســف"** 38- تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1300هـ، 1936 م.
- **محمد "د. ماهر عبد القادر"** 39- محاضرات فى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985 م.
- **مجاهد "د. عبد المنعم"** 40- مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 م.
- **مـراد "د. محمـود"** 41- الحرية فى الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999 م.
- **مرحبا "د.محمد عبد الرحمن"** 42- تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهيلينستية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1414 هـ، 1993 م.
- **مطـر"د. أميرة حلمـى"** 43- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 م.
- **ـــــ** 44- الفلسفة عند اليونان، جـ 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986 م.

- **د. مكاوى "د. عبد الغفار"** 45- مدرسة الحكمة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.
- **نصرى " د. يحيى هويدى"** 46- دعوة للدخول فى تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1422هـ، 2002م.
- **ـــــ** 47- قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993 م.
- **نيتشـه "فريدريـك"** 48- أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية، محمد الناجى، أفريقيا الشرق، ط 1، ردمك، 1996 م.
- **ـــــ** 49- الفلسفة فى العصر المأساوى الإغريقى، تعريب د. سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، بيروت، لبنان، 1403 هـ، 1983م.
- **هانكســون "جيـم"** 50- المرشد إلى الفلسفة، ترجمة جورج حورى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، عمان، 1990 م.
- **ونلر "غنار سكيريك، غيلجى"** 51- تاريخ الفكر الغربى من اليونان القديم إلى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، 2012م.
- **يتهـــارت(أ. أ)** 52- الملحمة الإغريقية القديمة، ترجمة د. هاشم حمادى، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1994 م.

- **يعقوبى"د. محمـود"** 53- خلاصة الميتافيزياء، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1422 هـ، 2002 م.

ب- المراجع الأجنبية :-

- **Aquinas "Sister, M. Thomas";** 1- The pre-Socratic use of As a term for the principle of Motion, National capital press, inc, Washington, 1915.
- **Appletton "R. B.";** 2- The Elements of Greek philosophy from Thales To Aristotle, Methuen & Co, L. T. D, first published, London, 1922.
- **Benn "AlFred William";** 3- The Greek Philosophers, vol -1- Kegan Paul, Trench & Co, London, 1882.
- **Burnet "John";** 4- Greek philosophy, Thales to plato, Macmillan & Co, Limited, London. 1950.
- **Copleston, S. J "Fredrick";** 5- Ahistory of philosophy, vol -1- Greek and Rome, published by : Double day, N. Y, 1993.
- **Ferrier "James frederick.";** 6- Lectures on Greek philosophy and Ather philosophical Remains, vol -1- William Black Wood & Sons, London, W. D.
- **Fullar "B. A. G.";** 7- History of philosophy, Thales To Democritus, Henery Holt & Co, N. Y, 1923.

- **Goperz "Theador";** 8- Greek Thinkers, vol -1- Ahistory of Ancient philosophy, Trans by; Lauyie Magnus, M. A, John Murray, London, 1970.
- **Henery "C- S, D. D.";** 9- Epitome of the history of philosophy, vol -1- Henery & bruthers publishers, N. Y, 1969.
- **Jordan "William";** 10- Ancient Concepts of philosophy, Routledge, N. Y, 1990.
- **Kenny "Anthony";** 11- Anew history of Western philosophy, vol -1- Ancient philosophy, Clarendon press, oxford, N. Y, 2004.
- **——;** 12- An illustrated Brief of Western philosophy, black well publishing, oxford, N. Y, 1988.
- **Oakeley "Hilda, D, M. A, Oxon";** 13- Greek Ethical thought from Homer to the Stoics, Dent & Sons, L. T. D, N. Y, 1925.
- **Pokin "Richard. H";** 14- The Columbia History of western philosophy, Columbia University Press, N. y, 1999.
- **Price "Joan. A";** 15- Understanding philosophy, Ancient and Hellnistic Thought, Chelsea House, N. Y, 2008.
- **Schweglar "Dr, Albert";** 16- History of philosophy in Epitome, Trans by; Jnlius H. Seelye, Appleton & Co, London, 1864.
- **Shields "Christopher";** 17- Classical philosophy, Acontemporary introduction, Routledge, first published, London, 2003.

- **Stace "W. T.";** 18- Critical History of Greek philosophy, Macmillan & Co, London, 2010.
- **Taylor "C. C. W.";** 19- Routledge History of philosophy, vol -1- for The Beginning to plato, Routledge, London, 1997.
- **Zeller "Eduard";** 20- Outlines of the history of Greek Philosophy, Rerised by; Wilhelm Nestle, trans by; L. R. Palmer, Meridian Book, inc. N. Y, 1955.
- **——;** 21- Ahistory of Greek philosophy, vol -1- for The Earliest to Time of Socrates, Longmans, Green & Co, London, 1881.

ثالثاً :- دوائر المعارف والمعاجم والموسوعات :-

أ- العربية والمترجمة إليها :-

- **المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية** 1- تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403 هـ، 1983م.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة** 2- نقلها عن الانجليزية فؤاد كامل وجلال العشرى وعبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية د. زكى نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان، د. ت.
- **الموسوعـة الفلسفيـة** 3- إشراف م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة سمير كرم، مراجعة د. صادق جلال العظم، جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1974 م.

- **اليساوى "شاكر"** 4- فى بعض المفاهيم والأفكار، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، 1996م.
- **إيمار "أندريه جانين أوبوايه"** 5- تاريخ الحضارات العام-1- الشرق واليونان القديم، نقله إلى العربية فريد م. داغر، فؤاد. ج أبو ريحان، إشراف موريس كوزيه، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1986م.
- **بدوى "د. عبد الرحمن"** 6- الموسوعة الفلسفية، جـ 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1984 م.
- **سعد "جلال الدين"** 7- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994 م.
- **صليبا "د. جميل"** 8- المعجم الفلسفى ، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، 1982 م.
- **رسل "برتراند"** 9- حكمة الغرب، جـ 1، ترجمة د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، ع 62، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1978م.

ب- الأجنبية:-

- **Audi "Robert";** 1- The Cambridge dictionary of philosophy, Cambridge university press, Second ed, N. Y, 1995.
- **Bunnin "Nicholas & Jiyuan Yu";** 2- The black well dictionary of western philosophy, black well publishing, U. S. A, oxford, 2009.

- **Runs "Dagobert";** 3- The dictionary of philosophy, philosophical library. Inc. N. Y. W. D.